الأدب اللائق

سابقا : آداب اللياقة

تأليف

محمد مسعود

مدير قسم النشر بمصلحة التجارة والصناعة



الطبعة الثالثة

بمطبعة الرابطة رقم ١٠ فى ملتقى شارعى حوش الشرقاوى
وسعيد السعداء بباب الخلق بمصر
سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله وصلاة وسلاما على رسول الله

وبعد . فهذا كتيب ضمنته قواعد فى الآداب الاجتماعية وأصولا فى قوانين المعاشرة ، استخلصتها مما أقرّته العادة ، واجمعت عليه الاذواق ، وتوافرت على الأخذ به الطبقات المهذبة فى الأمم الراقية .

وكفى بيانا لأهميتها انها المحور الذى تدور عليه الروابط الادبية والاجتماعية التى تربط الافراد ، بعضهم ببعض ، فى البلاد المتحضرة والميزان الذى توزن به اخلاقهم وطباعهم فمن كان على إرث منها او فائزا بالسهم الاجزل ، رمق بعين الاحترام وأحل محل الاجلال والاعظام ، ومن كان عنها بمنجاة عومل معاملة من لا اخلاق لهم ونبذ نبذ النواة .

ولما كان مرماى من التأليف بين اجزاء هذا الكتيب هداية النشء الى أقوم الطرق ، لضبط تصرفاتهم القولية

والفعلية ، وان يشبوا عارفين بالأنسب والأليق منها ، فى ظروف الحياة المتباينة واطوارها المختلفة ، فقد توخيت فى وضعه ان يكون سهل العبارة قريب المأخذ على الفهم ، بما اوردت فى غضون احكامه وقواعده من الامثال والشواهد الذاهبة بشىء من خشونة الأمر والنهي فجاء خليقا بأن يتداوله النشء وان يجعل منهم ، بما يستظهرونه من قواعده ويألفون العمل به من مبادئه ، طبقة عارفة بحقوقها وواجباتها الاجتماعية ، دالة باخلاقها وطرائقها المحمودة فى السير والسلوك ، ونزعاتها فى آداب المعاشرة ، على كرم الأمة التى هم ابناؤها ورسوخ شرفها وتأثل مجدها

وانما الأمم الاخلاق مابقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وان فكرى ، اذ أقدم كتيبي بين يدى ذلك النشء الصالح الطامح الى المثل العليا فى الفضائل الاجتماعية وبين يدى كل قارىء يسمو الى شرائف الخصال ، ليتجه مقرونا بمواصلة آيات الشكر واستدرار غيوث الرحمة والرضوان ، الى شخصية بارزة فذة يرجع اليها الفضل فى بروز هذا

العمل الى عالم الوجود وانتشاره فى الاقطار العربية ، هى شخصية المغفور له احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية قبل الحرب العالمية .

فلقد حبانى ، رحمه الله ، ثقته الغالية إذ كلفنى القيام بهذا المؤلف ورسم الخطط لوضعه وساهم معى اشهرا فى مراجعته وتعهده ببعض الملحوظات القيمة فى آداب الاجتماع التى كان ثقة من ثقاتها وقطبا من اقطابها . وقد كان من أثر هذه المشاركة الطيبة ، مادفع بى فى الطبعة الحاضرة الى بث اضافات كثيرة بين سطورها تتضمن وجوها جديدة من تلك الآداب فى مختلف موضوعاتها وعقد فصول أخرى ، فى بعض نواحيها المهمة ، كفصل آداب المخدوم والخادم وفصل آداب الهدايا والتهادى وغيرهما ، مما تدعو بواعث الاختلاط بين الطبقات الى الأخذ به ، تفاديا من الفرطات التى لا يغفرها الملمون بتلك الآداب للجاهلين بها .

وانى لأرجو أن اكون بهذا العمل الصغير قد قمت بفروض الخدمة للوطن فى ناحية من اهم نواحيها .

ملخصات من آراء بعض الصحف
فى هذا الكتاب عند صدور طبعته الاولى سنة ١٩١٣

عن المؤيد :

اليك المزايا التى انفرد بها هذا الكتيب عن نظائره بل أصبح مع اجتماعها فيه او فى امثاله حاجة من امس حاجات المصريين

اولاها ـ انه شائق الديباجة مع سهولة لفظه ورشاقة عبارته فلهذا تستحب مطالعته ولا تمل مباحثه

ثانيها ـ انه اختار للمسميات الاسماء العربية الفصيحة مع الاحتياط بظهور معانيها وجلاء مقاصدها بحيث يتسنى للمطالع ان يستفيد جمال الاسلوب الكتابى ويكتسب فرائد من المفردات اللغوية خلال مايتلقاه من قواعد المعاشرة اللائقة

ثالثها ـ انه ألحق بالمتن بعض الشروح العلمية المفيدة

رابعها ـ انه ضبط الحروف بالشكل الضرورى وفصل الجمل بالترقيم التام الصحيح وفسر غوامض الكلم فلم يبق محل للالتباس

خامسها ـ انه اتخذ من سيرة النبى ومن سير الخلفاء اساسا للآداب التى دعا اليها فاكثر من الشواهد وكلها مختار مفيد

سادسها ـ انه نظر الى خير ما نحن مصطلحون عليه من الآداب الحاضرة فأقره والى شره فدل عليه وانكره

سابعها ـ انه ارشد الى مايحسن بالمصرى اقتباسه عن آداب الاجانب أو مجاراتهم عليه منها حين تدعوه الاحوال الى مخالطتهم

اضف الى هذه المزايا السبع ان المتن محشو بالحكم والمواعظ

وفيه ما فيه من النهى عن سوء المعاشرة وعن ادمان المعاقرة وعن الأخذ بالمقامرة فأهنىء مؤلفه واهدى باسان الأمة المصرية واللغة العربية عظيم الشكر الى سعادة احمد باشا حشمت وزير المعارف الذى اتحف طلاب المدارس الاميرية به الخ.

مجلة البيان

وقد زان الكتاب فى كثير من موضوعاته بالاحاديث النبوية وروائع الكلم ومأثور الحكم وكثير من الاستشهادات والحكايات مما جعله آية فى بابه نفعاوفائدة . وقد احسنت نظارة المعارف صنعا بتقريره فى مدارسها وعسى ان يقرأه المعلمون على تلاميذهم ويأخذوا النشء بآدابه ويحثوهم على العمل بقواعده حتى تتهذب الآداب وتستقيم النفوس وتطيب الاخلاق فذلكم عماد الرقى ونهجه

عن الأفكار :

ومن رأينا ان يستحضر كل والد هذا الكتاب ويستقرىء بنيه وبناته كل ليلة شيئا منه حتى النهاية وبذا تأمن الأمة على مستقبل اخلاقها

عن الشعب:

نستقبل كتاب آداب اللياقة مغتبطين بشدة حاجتنا الى مثله وقلة ما ألف فى موضوعه ويسرنا ان نرى افاضل كتابنا يكتبون فى آداب الاجتماع تلك الآداب التى هى ملاك الصلة بين الفرد والفرد ومرآة نفوس المجاميع ومقياس رقى الأمم

عن البصير :

وهو كتيب حرى بما حواه من النصح والارشاد فى نظام بديع من التعبير بان يكون منال يد كل فتى ورجل وفتاة وامرأة

عن المحروسة :

انا نرى ألا غنى لكل فرد عن اقتناء هذا المؤلف والاخذ بما فيه . وقد ادركت نظارة المعارف اهميته فى هداية النشء فقررته للمطالعة فى جميع مدارسها

عن المعرض :

خليق بالذين يريدون ان يكونوا من اصحاب الاذواق السليمة ومن الذين يستطيعون الجلوس فى المجالس والتخلق بمحاسن الشيم ان يدرسوا هذا الكتاب فأنه جعبة الاخلاق

السيف :

كتاب اشد ماتكون حاجة الامة اليه فى هذا الدور من ادوار حياتها اذ يهديها الى الاخلاق الفاضلة فى جميع معاملاتها المادية والأدبية

آداب حركات الجسم وأوضاعه

١ — تستدعى راحة الجسم ، أن تكون أوضاعه المختلفةُ من قيامٍ وقعود ، وحركةٍ وسكون ، بعيدةً عن التصنع الذى يشوّهه ويكشف عيوب الأخلاقِ .

ولما كان نموّ الجسم ، يبعث الطفلَ على استمرار الحركةِ والانتقال ، كان من حسن التأديبِ ، تعويدُه مغالبتهما فى حضرة كبار الناس . أو اعفاؤه من المثول بين ايديهم

٢ — ينبغى ، إذا وقف المرءُ ، أن يقفَ معتدلَ القامةِ ، فلا يقوّسُ ظهره ، ولا يميل برأسه يَمنةً أو يَسرة ، ولا يرفعه الى السماء ، ولا يستندُ الى جدارٍ أو غيره .

٣ — وعليه ، إذا مشى ، أن تكونَ حركتهُ قصداً بين البطء والسرعةِ ، مع تخفيفِ وقع القدمين على الأرض . أما المرأةُ ، فيجمل بها فى أثناء السير ، أن تجعل

إحدى ذراعيها معاقة ، إذ فى إرسالها الذراعين معاً موازيتين للجسم ، ما يجعلها أشبه بالرجل منها بالمرأة .

٤ — وليحذرْ ، إذا جلس ، الاضطجاعَ كالكسلان ولفَّ الساقِ بالساق ، وتحريكهما كالأرجوحة ، واعتمادَ الرأسِ باليدين ، والاستنادَ الى الكرسىّ ، والأخذَ من مجاس جاره ، وإكثارَ الميل الى أحد الجانبين ، والتنقل من مكان الى مكانٍ ، وجرَّ الأثاث بحيثُ تسمع له فرقعةٌ يتأذى بها السمعُ ، لأنّ هذه المحظوراتِ دليلُ سوءِ الأدب والعيش .

٥ — مما يحسنُ بالمتأدّب اجتنابهُ ، إذا كان فى مجلسٍ ، ألاّ يظلّ جالساً إذا وقفوا ، أو واقفاً إذا جلسوا ، ولا يشخصَ بنظره فيما حولهُ ، ولا يحتبيَ (١) ، ولا يباعدَ بين رجليه ، ولا يتلهى بالنظر فى مِرآة قبالتهُ ، ولا يكثرَ العبث بشعره أو بلباسهِ ، ولا يمسكَ باطراف ثياب جليسه وإزاره أو يحملقَ بعينيه ، ولا يهزّ كتفيه أو يخرجَ لسانهُ ، ولا يضربَ بيديه أو رجليه ، كمن يزنُ

(١) من الاحتباء وهو أن يأخذ المرء ركبتيه بكفيه

مقاطعَ نغماتٍ يسمعها، ولا يلاعبَ الجوَّ بسلسلةِ ساعته، أو بشيء ما فى متناوَل يده.

آداب الرأس والوجه

١ — لا يحسنُ بالمهذّب أن يميلَ برأسهِ جانباً، إلاّ فى مواقف الخشوع والطاعة، كأن يكونَ مصلياً، أو ماثلا بين يدىْ كبيرٍ، إذ لا بأس عندئذٍ من إمالته قليلاً الى الأمام.

ولا تحسنُ الأجابةُ على سؤالٍ بأيماءةِ الرأسِ، إلا فى أحوال استثنائية، كأن يكون الانسان مأخوذاً بسعالٍ أو نحوه، إذن فلا بأس من الايماءة به.

٢ — الوجه مرآةُ النفس، والشاهدُ على طباع المرء، لذا ينبغى ألا تدعوَ ملامحهُ الى الظنّة بصاحبهِ. فلا يكون دائمَ العبوس بلا باعثٍ، ولا دائمَ البشاشةِ عن خفة أو افراط فى رفع الكلفة، ولا ضاحكا فى مقام الحزن ولا متكلفا الاكتئاب فى مجالس التبسط، ولا متصنعاً

الاتضاع أمام الكبراء عن رهبة أو رغبة ، بل عن أدب صحيح وثبات جاش .

٣ — المرآة أداة تنطبع فيها صورة الرائى . فلا يستهوينه العجب بنفسه الى الوقوف أمامها ، إلا بمقدار مايصلح شأنه ، ويتأكدُ له انتظام هندامه وحسن سمته ، حتى إذا برز للناس ، أو سار فى قضاء شؤونه ، لايقع نظر أحدهم على مايدعو الى انتقاده ، أو الاستخفاف به .

وقف رجل ذات يوم على باب النبى عليه الصلاة والسلام يستأذن عليه ، فخرج النبى ، فوجد فى حجرته ركوة [١] فيها ماء ، فوقف يسوى لحيته وينظر اليها . فلما رجع داخلا ، أنكرت عائشة ذلك عليه ، فقال : « ياعائشة إن الله يحب ، اذا خرج عبده المؤمن الى أخيه ، أن يتهيأ له وأن يتجمل »

٤ — إذا رأي أحدكم أمرأة دممت [٢] وجهها بالابيض

---

(١) الركوة بفتح الراء اناء للماء جمعها ركاء وركوات .

(٢) من دم الشىء طلاه بطلاء . ودم البيت جصصه . ودم السفينة قيرها أى طلاها بالقير وهو القطران . ودم العين طلى ظاهرها بدمام . والدمام ماطلى به الوجه وهو المراد هنا .

والأحمر ، لتجود على نفسها بما ضنت الطبيعة به عليها من محاسن الخلق ، أفلا يشعر فى نفسه بالاحتقار لها ، والاستخفاف بها ؟

لاريب فى ذلك ! لانها لاتغش الناس فقط ، بل تخدع نفسها أيضاً ، وفى هذا منتهى التغرير والغفلة .

وجدير بالمرأة أن تضع نُصب عينيها ، أن تدميم الوجه بالأبيض والأحمر غير محمود ، وأنه شديد الخطر على الوجه فهو لا يلبث أن يشوهه ، ويذهب بروائه (١)

٥ — ينبغى تعهد الرأس بالنظافة ، وولاية الشعر بقصه وتنسيقه . ويكون ذلك بتمشيطه وترجيله (٢) . وألزم ماتكون هذه العناية ، اذا كان المرء زائراً أو مزوراً .

دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثائر الرأس

---

(١) الدمامات يدخل السم فى تركيبها فينفذ فى المسام عند طلاء الوجه بها ويدور مع الدم فى دورته فتنشأ الامراض القتاله . وهى تصنع اما من أبيض الرصاص وهو سم يفسد النظام العضوى في زمن قصير ويستحيل الى لون اسود اذا لامسه الكبريت . واما من أبيض الزنك وهو ضار أيضا لانه يجعل الجلد صلبا ويصيب الوجه بالتجعد والاسارير . واما من أبيض الباريت وهو فضلا عن رداءته شديد الخطر . واما من أبيض البزموت وهو يستحيل الى لون اسود بملامسة الكبريت . وهناك دمامات حمراء غير هذه ليست بأقل منها ضررا بالجسم .

(٢) الترجيل من رجل بتشديد الجيم ارسال الشعر بالتمشيط ويقال أيضا فى تجعيد الشعر وتمويجه .

أشعث اللحية (١)، فقال: «أما كان لهذا دهن يسكن به شعره؟» ثم سكت هنيهة، وقال: «يدخل أحدكم كأنه شيطان!»

٦ — خليق بالمهذب ألا يدع ذؤابته (٢)، وفوديه (٣)، بارزات من تحت القلنسوة (٤)، لما فيه من التظرف الذى يذهب بالوقار والهيبة، وألا يرسل شعره على كتفيه، تشبهاً بأهل الشعر، والتمثيل، والتصوير من الأوروبيين، بحجة أنه من زُمرتهم.

لأن إرسال الشعر لا يدل على النبوغ وسعة العقل، وإلا كان النساء أعقل من الرجال، وأكثر استعداداً للنبوغ.

٧ – لا تعبث بشاربيك، ولا تدهن شعر رأسك بالزيوت، لأنها أدعى الى التصاق الغبار به.

---

(١) ثائر من ثار بمعنى هائج الشعر. وأشعث من الشعث الانتشار والتفرق
(٢) الذؤابة هى شعر الناصية جمعها ذوائب
(٣) الفود هو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن
(٤) القلنسوة لباس الرأس أيا كان جمعها قلانس وقلانيس يقال: قلنسته فتقلنس ألبسته القلنسوة فلبسها.

٨ — لا يليق بمن يحترم نفسه ، أن يطيل لحيته أو شاربيه إطالة تشوه خلقته ، أو أن يقصَّ لحيته كذنب الحمامة ، أو يتركها متفتلة إيهاما بالتقوى ، أو شعثة إعلانًا للزهد ، أو ينتفها التماسًا لشباب مضى ، أو يستل الأبيض منها ، أو يخضبها بالسواد أو غيره ، استنكافًا من الشيب (١)

آداب العين واللحظ

١ — العين مرآة الانفعالات النفسية ، واللسان الناطق بما يتأثر به الوجدان ، من الفضائل أو النقائص .

قال بعض الحكماء : « العين باب القلب ، فما كان فى القلب ظهر فى العين » . وقال الشاعر :

وإن تك فى حبيب أو عدو   تخبرك العيون عن الضمير

فاحذر إذًا أن تترجم عيناك عن حقد كمين فى نفسك ، أو رياء تحاول أن تخدع به غيرك ، أو حسد ترمق به مال سواك .

---

(١) كان ابن ابى ليلى قاضى المدينة يرد شهادة من ينتف لحيته

٢ — من فضول النظر : التحديق فى الناس والأشياء بغير ماسبب ، والنظر الى المحرمات المنهى عنها .

استأذن الربيع بن خيثم على ابن مسعود ، فخرجت له جارية حسناء ، فغمض عينيه ، فعادت وقالت لابن مسعود : إن بالباب رجلا أعمى يقول ـ أنا الربيع بن خيثم ـ فقال لها : ليس الرجل بأعمى ، وإنما غض بصره عما نهاه الله عنه .

٣ — من الناس من إذا نزل به مكروه ، أو ألمّ به نازل من الضيق ، أطرق برأسه الى الارض ، ونظر الى نقطة منها لاتتحول عينه عنها .

أولئك هم ضعاف القلوب ، الذين يفقدون الثقة فى المستقبل ، والرجاء فى جانب الله ، ويضيعون بفعلهم هذا ، شطراً كبيراً من أعمارهم ، فيما لاجدوى منه .

٤ — من حق العين على المرء ، وهى أدق عضو من أعضاء الجسم ، تعهده إياها بالنظافة ، مجتنباً فى ذلك استعمال اليد ، لأنها قد تكون ملوثة ، فتصيبها بلوثها .

وإذا سقط الذباب على العين ، فالواجب طرده حالا ، لأنه ينزل على الاشياء العفنة ، فتتعلق أجزاؤها بأرجله .

فأذا وقف على العين ، ولم يبادر بطرده ، أصابها بمرض ربما ذهب بها (١) .

آداب الاذنين والانف

١ – يجب على المرء استخراج ما فى أذنيه من

---

(١) قال الدكتور هوارد فى كتابه « الذبابة المنزلية » أن الذبابة تنقل بأرجلها وأجنحتها من ٥٥٠٠٠٠ الى ٦٦٠٠٠٠ جرثومة من الجراثيم المعفنة فتكون بذلك سببا فى تفشى الامراض المعدية كالحمى التيفودية والسل والكوليرا الخ . وأثبت الباحثون فى معمل من معامل نيرك الكيماوية أن الذبابة الواحدة تحمل فى بطنها ١٠٠٠٠٠٠ جرثومة من جراثيم المواد البرازية فاذا سقطت هذه الذبابة في اناء اللبن مثلا أو لامست العين فلا شك فى أنها تصيب شاربه بتلك الامراض كما تصيب العين بالاصابات الرمدية التى كثيرا ماتذهب بها . ولقد كانت السبب فى نشر الحمى التيفودية بين الجنود الامريكية فى جزائر الفلبين والالتهاب المعدى المعوي بين الجنود الانكليزية فى أفريقيا الجنوبية .

ولما كانت الذبابة الواحدة تبيض فى منتصف ابريل ١٢٠ ذبابة النصف منها أناث فانه يتناسل من بناتها الستين ومن أحفادها فى خلال الثلاثة الشهور التالية ٢٥٩٢٠٠٠٠ ذبابة النصف منها أى ١٢٩٦٠٠٠٠ أناث اذا تناسلت فقد بلغ عددها في شهر سبتمبر التالي ٠٠٠٠٠٠٠٢٧٨٩٥٠ ذبابة . فمن الواجبات التى على الانسان لنفسه أولا وللاجتماع الانسانى ثانيا أن يستعد منذ شهر ابريل من كل عام لمحاربة الذباب وابادته لانه اذا قتل ولم يبد الا ذبابة واحدة فقد كفى الانسانية شر ذلك العدد البالغ من الذباب في شهر سبتمبر . وخير وسائل الابادة الورق اللازج يطرح فى كل غرفة أو قليل من الفورمول في عشرة أمثاله ماء.

الصملاخ[١] ، الذي إذا بقى فيهما ، ورسبت عليه الأتربة ، أفضى الى الصمم .

ولا يكون استخراجه بأصابع اليد ، ولا على مرأى من الناس ، لذا يحسن تعوّد تنظيفهما فى الخلوة ، عند الانتباه من النوم .

٢ — إذا كان تنظيف الأذنين من القذر واجباً ، فأوجب منه تنزيههما عن سماع القبيح .

فقد قيل : « نزه نفسك عن استماع القبيح ، كما تنزه نفسك عن الكلام به ، فأن السامع شريك القائل » .

ومن تنزيههما ألا تسترق بهما السمع خلف الجدران والأبواب والحوائل ، لأن هذا العمل من الخيانة وسوء الأدب . ولا تمدهما عند سماع الاغانى ، إلا الى مايكون منها داعية نشاط النفس ، وبث الأخلاق الفاضلة فيها .

٣ — ليس من الأدب ، ولا من المروءة ، الصياح فى أذن الغير ، أو النفخ فيها ، أو الضرب عليها ، أو الجذب منها.

---

(١) الصملاخ يطلق على داخل خرق الاذن وعلى وسخه أيضا والمراد هنا المعنى الاخير .

ولا يليق بالأهل ، ثقب آذان الغلمان ، أو تعليق الحلى فيها ، فان هذا بالأناث أجدر .

٤ — مما تشمئز النفس منه ، وضع الأصبع فى الأنف [١] والتمخط فى اليد ، وإلقاء المخاط على الارض والجدران والمقاعد .

والواجب استجماع المخاط فى منديل ، ينبغى وقت وضعه على الأنف ، إسباله أيضاً على الفم ، حتى يحجبه عن الأنظار .

ويحترز من طرح المنديل على الأرض ، أو الأثاث ومن ابراز طرفه من الجيب .

٥ — يحسن أن تحترز بقدر الطاقة ، من التمخط أو العطاس [٢] فى المجالس ، وقطع مابين الناس من الحديث :

---

(١) من المعلوم ان العظم المقوم لهيئة الأنف غضروفي يتأثر بالضغط وتوالى اللمس . فاذا اعتاد أحد الناس وضع اصبعه فى أنفه فان الغضاريف المقومة له لاتلبث أن تتأثر بهذا الفعل فيتغير شكله ، اما بانحرافه عن اتجاهه الطبيعى أى باعوجاجه واما بانبعاجه واما بغير ذلك .

(٢) فى الشرق يشمت العاطس بأن يقال له : « يرحمك الله » فيجاوب بقوله « يهديكم الله ويصلح بالكم » والتشميت لايكون الا للعاطس الذى يتبع عطاسه بحمد الله فاذا لم يحمد الله لايشمت — والتشميت عند الافرنج عادة قديمة جدا وشائعة حتى الآن سيما بين رجال الدين حيث يقال للعاطس « بارك الله فيك » وسببه ان مرضا مقرونا بالعطاس فشا فى أوروبا وقتئذ فكان الناس يشمتون بعضهم بعضا بهذا الدعاء .

بالصوت الناشىء عنهما .

آداب الفم والاسنان واللسان

١ — يجب تطهير الفم بغسله ، وبالاحتراز مما يدعو الى تصاعد الروائح الكريهة منه .

وأفضل وسيلة لنظافته السواك ، لخواص اجتمعت فيه [١] .

٢ — حاذر من اتلاف الاسنان باستعمالها فى رفع الأحمال الثقيلة ، وكسر النقل [٢] ، وأكل المأكولات اليابسة ، وقرض الاظافير .

---

(١) السواك عود شجر يسمى الاراك ينبت فى بلاد العرب وهو يطيب الفم لاحتوائه أصلا عطريا ويشد اللثة لقبض فيه ويقوى المعدة لاحتوائه جوهرا مساعدا على الهضم ويدر البول ويذهب الحفر لاحتوائه أملاح الصودا والبوتاسا. والحفر بفتح الفاء هو مرض ميوعة الدم واللثة وقد وقف علماء الافرنج على مزايا السواك فمدحوه وحثوا على استعماله . جاء فى مجلة «غازتة باريس الطبية» الصادرة بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩١٢ تحت عنوان «العناية بالفم عند العرب» ما يأتى :

« بتأثير السواك تصير الاسنان ناصعة البياض واللثة والشفتان جميلة اللون الاحمر . ونساء العرب يعطرن أفواههن بعد السواك بمضغ نوع من الصمغ يسمى فى تونس بالبان . وانه لمما يكدر ألا تكون عنايتنا بافواهنا نحن معشر المتمدنين كعناية العرب بها » .

(٢) النقل هو الفواكه الجافة كالجوز والبندق الخ .

٣ – إذا فرغت من الطعام ، فلا تتخذ لتنظيف أسنانك : الدبابيس أو الأبر أواسنان الاقلام أو اطراف المدي . بل أقصاب الريش المبرية ، أو الأعواد المدببة من الخشب والعاج .

وأحسن من هذا كله ، أعواد الخلال التي ، فضلا عن لينها ، تحتوى عنصراً طبيعياً عظيم الأثر فى تطهيرها ، وتقويتها .

٤ – من الوقار وحسن السمت ، ألا تلوك الفم بلسانك ، تتحرى به فضلات الطعام ، ولا تضعه بين الشفتين للاستخفاف .

ومن مكارم الاخلاق : صون اللسان عن الكلام فيما لايعنى ، والخوض فى الباطل ، والمراء ، والخصومة ، والتشدق ، والمزاح الذى يتعدى الحشمة ، والاستهزاء ، وإفشاء السر ، والكذب فى القول ، والحلف ، والوعد ، الى غير ذلك من رشقات اللسان ومهلكاته .

آداب التثاؤب والعطاس والبصق

١ – إذا استشعرت الحاجة الى التثاؤب، فاستر فمك بالكف، أو انتح ناحية إذا لجّ بك التثاؤب، حتى لا يتسرب الى وهم الحاضرين ان فى وجودهم ضجرك

ومن التنطع : الكلام فى أثناء التثاؤب، والتثاؤب بدوِيّ .

٢ – إذا أخذك السعال، فضع منديلك على فمك، كيلا يطير رشاش اللعاب منه على وجوه مجالسيك، او انتبذ مكاناً حتى ينصرف السعال .

٣ – من سلامة الذوق، إذا أحس المرء الحاجة الى البصق، أن يبصق فى منديله، وأن يحذر البصق من النوافذ وعلى الجدران والفرش، وأن يراعى فى حالة البصق، تحويل وجهه عن الحاضرين، وأن يكون بصقه بلا صوت ولا جهد .

آداب اليد والاصابع

١ – اليد أكثر أعضاء الجسم تعرضاً للمس الاشياء، لهذا ينبغى تعهدها بالغسل والتنشيف، قبل الطعام وبعده.

وفى وجوب تعهدها بالنظافة، ورد حديث: « إذا نام أحدكم وفى يده غمر(١)، فأصابه شىء، فلا يلومنّ إلا نفسه »، وحديث: « إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده، فأنه لايدرى أين باتت »

٢ ـ من أخص ماينبغى لك اتقاء لمسه الكتب القديمة، وأوراق اللعب، وقطع أدوات اللهو، كأحجار النردو الشطرنج وغيرها. فأن هذه الاشياء، فضلا عما فى بعضها من بواعث إضاعة الوقت فى الباطل، تفضى الى الأصابة بالأمراض القتالة، لا سيما السل الرئوى.

٣ ـ كما يجب تطهير اليدين من القذر، ينبغى قبضهما عن الأذى والاضرار بالناس.

---

(١) الغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم.

فلا تكن إذاً سريع المبادرة برفعهما على الغير للبطش به ، ولو كان معتدياً . فربّ ضربة باليد أصابت مقتلا ، فأصبح الضارب فى عداد المجرمين (١) .

٤ ـ من علامات التوقير للشيوخ والعلماء والعظماء ، تقبيل اليد ، وهى عادة لا بأس بها .

أما تقبيلها لغيرهم ، فقد يكون : إما عن هلع ، أو عن ضعة نفس ، أو عن قصد الخديعة ، وكل أولئك ممقوت .

دخل رجل على الخليفة عبد الملك بن مروان (١) فقبل يده ، وقال : « يدك ياأمير المؤمنين أحق بالتقبيل ، لعلوها فى المكارم ، وطهرها عن المآثم . وإنك لتقل التثريب . وتصفح عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءا ، جعله الله حصيد

---

(١) فى قانون العقوبات المصرى نص صريح يقضى بمعاقبة من يرتكب هذه الجريمة تراه فى المادة ٣٠٠ من هذا القانون وهو : « كل من جرح أو ضرب أحدا عمدا أو اعطاه مواد ضارة ولم يقصد من ذلك قتلا ولكنه أفضى الي الموت يعاقب بالاشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات الي سبع » الخ .

(٢) هو خامس الخلفاء من بنى امية بويع له عقب وفاة والده مروان بن الحكم بن مروان (سنة ٦٠ هجرية ـ ٦٨٤ ميلادية) وتوفى (سنة ٨٦ هجرية ـ ٧٠٥ ميلادية) فكانت مدة خلافته ٢١ سنة و١٥ يوما وكان عاقلا حازما أديبا فقيها . وهو أول من نقش الدنانير والدراهم باللغة العربية (سنة ٧٦ هجرية) وكان النقش على الدنانير قبل ذلك بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية واتخذ دارا للضرب ونقش على الدراهم « الله أحد الله الصمد » .

سيفك ، وطريد خوفك » .

٥ ـ اعتاد البعض فرك اليدين ، إعلاناً بسرور ، أو التماساً للحرارة ، إذا برد الجو .

وهي عادة ، إذا أمكن النزوع عنها ، كان ذلك ألصق بالأدب .

٦ ـ من الأناة وضبط النفس ، ألا تتلمس بأصابعك الأشياء التي تسترعى نظرك ، إذ يكفي لقضاء عجبك مما ترى ، مجرد النظر اليه عن بعد ، مالم يكن لمسها لاختبارها .

واحذر الأشارة بسبابتك ، الى من يرد ذكره على لسانك ، وقصعَ الأصابع على مسمع ومرأى من الغير .

٧ ـ تقليم الاظافير واجبٌ فى الخلوة ، كلما تهيأت بطولها لاحتواء الأوساخ .

ويستعمل فيه المقراض فقط ، لا السكين أو الاسنان (١) .

---

(١) الظفر مادة قرنية ليست بالصلبة حتى تتفتت ولا باللينة حتى تتعرض الانامل لما يصيبها بالجراح فهو اذن أحسن وقاية لها من تأثير المصادمات والملامسات ويتجدد مرة فى كل ثلاثة أشهر وقرضه بالاسنان مضر جدا لاحتوائه قدرا كبيرا من المواد السمية التى تتعرف اليه من سائر البدن . وثبت من احصائيات عملت بألمانيا أن تلاميذ المدارس الذى يقرضون أظافيرهم يصابون بامراض تسبب موت ٩٠ فى المائة منهم .

وفى وجوب تقليمها، ورد حديث : « قصوا أظافيركم »
وحديث : « لاتتركنَ من أظافيركنّ ،فأنه أزين لكنّ » .

آداب الركبتين والقدمين والساقين

١ ـ يحسن بالمرء ، وقد أخذ مجلسه ، ألا يباعد كثيراً ولا يجمع كثيراً بين ركبتيه ، ولا يشبك عليهما يديه ، ولا يلفّ ساقاً بساق .

وحسب المرء من هذه الاوضاع ضرراً ، أنها تعوق دورة الدم ، وتحدث الاعوجاج فى العمود الفقرى ، دع عدم ليقها فى المجتمعات .

٢ ـ مما يأخذه الغير عليك ، اذا وقفت ، أن تضرب بقدميك الأرض كالجواد الحرِن ، أو تدور بهما حول نفسك ، أو تجرّهما على الأرض جرّا حين المشى ، أو تمشى بهما مشية المقعد .

والواجب فى حالتي سكونك وحركتك ، ألا تتصنع لهما هيئات غير عادية .

٣ ـ عليك بنظافة القدمين ، حتى لا تتصاعد منهما رائحة يتأذى بها مخالطوك ومجاوروك ، فيكون نصيبك منهم الازدراءَ ، والفرارَ من معاشرتك .

وليكن ذلك كل يوم ، مع ماتنظف من اعضاء جسمك ، وهذا واجب متحتمٌ عليك . وإن كنت من المصلين ، فما أغناك عن هذه النصيحة ؛

آداب الظهر والكتفين والذراعين

١ — يتصنع بعضُ الفتيان تقويسَ ظهورهم فى أثناء المشى أو الجلوس ، ليعطوا أنفسهم وقار الشيوخ ، وسيماء العقلاء .

وفى هذا التصنع ، مايجلب لهم احتقار العارفين بأنهم صغارٌ فى جلودِ كبارٍ .

ويهمل آخرون استواء الظهر ، فى القيام والقعود ، فيعوجّ عمودهم الفقرى ، وتكون نتيجة اهمالهم الحدبَ . وهو مايجدر بهم اجتنابه ، والحذر منه .

٢ — حاذر، اذا كنت سائرا فى طريق مزدَحم بالمارة، أن تطوح بيديك بشدة، لأن هذه الحركة، وإن تكن موافقة للصحة فى الخلوة والمتنزهات: لاتحمد مغبتها حيث يشتدّ الزحام.

٣ — من آيات الاستخفاف والتهاون، الاتكاء فى أثناء الحديث، على المناضد أو الوسائد، وملاعبة الأثاث، وتوسد الذراعين أو تشبيكهما على الصدر، فعلَ الذليل الخاضع.

وخير الاوضاع للذراعين: ارسالهما معتدلتين الى جانب الجسم حال الوقوف، أو طرحهما على ظاهر الفخذين فى أثناء الجلوس.

آداب النظافة

١ — النظافة من ألزم الأمور للانسان، وأهمها فى حفظ صحته، وتقوية بنيته، وصيانة مكانته، فى المجتمع.

فينبغى إذن ان تأخذ بها نفسك، لتقوى على اداء واجباتك، وتنال احترام الناس لك.

ومن الدلائل البدهية على ضرورتها ، أن العمل بها طلب من الانسان منذ وجد ، وان الشرائع كلها متفقة على وجوبها . فالشريعة الموسوية تفرض الاغتسال بالماء قبل العبادة (١) ، والشريعة الاسلامية تحتمه تحتيما لهذا القصد وغيره (٢) ، والشرائع الاخري حافلة بالتعاليم الآمرة به.

٢ — تتناول النظافة العناية بالجسم والثياب ، وتطهير المسكن . والمنبه الطبيعى الى ضرورة مزاولتها ، حواس الشم والنظر واللمس .

---

(١) جاء فى التوراة — اصحاح ٣٠ من سفر الخروج : « وكلم الرب موسى قائلا ؛ وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه ايديهم وارجلهم منها عند دخولهم الى خيمة الاجتماع . يغسلون بماء لئلا يموتوا أو عند اقترابهم الى المذبح ليوقدوا وقودا للرب يغسلون ايديهم وارجلهم لئلا يموتوا ويكون لهم فريضة ابدية له ولنسله في أجيالهم » وفى هذا دليل على ان النظافة كانت لأهميتها مفروضة منذ الاعصر القديمة

(٢) شددت الشريعة الاسلامية فى تحتيم رعاية النظافة وجعلها الطريق للعبادات . قال تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . وقال : « ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » . والرجز بضم الراء وكسرها القذر ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط والاستحداد وغسل البراجم والانتضاح بالماء والاختتان » والاستحداد هو الاحلاق والبراجم جمع برجمة بضم الباء الظاهر والباطن من مفاصل الاصابع جميعها .

فبالشم يميل المرء الى الرائحة الزكية ، ويتأذى بالرائحة الكريهة ، فيتجنب مصدرها ، ويزيل أسبابها . وباللمس والنظر يعرف ما لا رائحة له ، وما عسى ان يكون الاتصال به سبب العدوى بالامراض ، فيبتعد عنه .

٣ — نظافة الجسم تكون بالاستحمام كل يوم للمستطيع ، على ان يكون بالماء الساخن ، ولو مرة فى الاسبوع ، لما يترتب عليه من ازالة العرق والمواد الدهنية ، التى اذا تراكمت على الجلد ، سدّت المسامّ ونشأت عنها الامراض [١] ، فضلا عن القذر ومستكره الروائح .

وكفى ، بما يشعر المرء به من النشاط والخفة ، عقب الاستحمام ، دليلا على قيام الجلد بوظائفه . أما غير المستطيع

---

(١) ان جلد الانسان عضو تبخير اذ يتصاعد منه يوميا نحو كيلو جرام من الماء وعضو امتصاص لانه يمتص السوائل التى تلامسه وعضو تنفس لانه يمتص الاوكسجين ويطرد حمض الكربونيك كما تفعل الرئة سواء . الا ان عمل الرئة اكثر من عمل الجلد ١٣٥ مرة . وقد اثبت العلماء اهمية وظائف الجلد بأن ازيل صوف حيوان وطلى جلده بطلاء لزج لا ينفذ منه الهواء ولا السوائل فأصيب الحيوان باضطرابات انتهت بموته . والاوساخ التى تتلبد على جلد الانسان تحدث فى جسمه من الاضطرابات ما احدثه ذلك الطلاء بالحيوان . ومن امراض الجلد الناشئة عن اهمال النظافة : الجرب والحكة وانواع القوب الخ . وهى معيبة لسكآبة منظرها . ولهذا ترى الناس يفرون من صاحبها .

فيستحم، مرة على الاقل فى الاسبوع [١] .

٤ — ان تجرد الوجه واليدين دائما، والرأس والرجلين أحيانا من اللباس، يعرضهما للقذر، سواء بتراكم الاجزاء السابحة فى الهواء عليها، أو بملامسة الاشياء القذرة بذاتها . لذا ينبغى تعهدها مرارا، فى اليوم الواحد .

والقيام بفروض الوضوء، تمهيدا للصلوات الخمس فى الدين الاسلامى، كفيلٌ بنظافة تلك الاعضاء، وواقٍ للجسم من الأصابة بأمراض كثيرة خطيرة [٢] .

٥ — كفى بالنظافة فضيلة، انها تدعو الى توقيرك، وإن لم تكن غنيا ولا عالما، فهى زينة من لا زينة له :

---

(١) جاء فى حديث شريف « اغتسلوا يوم الجمعة ولو كاسا بدينار » وفيه اشارة الى ان الاستحمام ينبغى الا يقل عن مرة فى الاسبوع كما ينبغى ان يستهان المال فى سبيله .

(٢) من مستلزمات الوضوء تنظيف الفم بالمضمضة مع الغرغرة أى رد الماء اى تصعيده الى الخياشيم واستنثاره بعد ذلك، وغسل الوجه من مبتدأ الجبهة ومنتهى الذقن طولا وبين الاذنين عرضا مع توصيل الماء الى منابت شعور الحاجبين والشاربين والعذارين والاهداب، وادخال الاصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص، وغسل اليدين الى المرفقين مع تحريك الخاتم ان وجد ورفع الماء الى اعلى العضد ومسح الاذنين ظاهرا وباطنا بادخال المسبحتين فى داخل الاذنين وادارة الابهامين على ظاهرهما ومسح الرقبة وغسل الرجلين باليد اليسرى متخللا اصابعهما مع رفع الماء الى نصفى الساقين .

وإذا كانت هذه مكانة النظافة من الاهمية فى حياة الانسان ، فجدير بك ان تعودها نفسك باطنا وظاهرا .

ولا تنسين ان النظافة تدعو الى حسن الترتيب ، وحسن الترتيب يفضى الى القصد ، والقصد يؤدى الى الثروة التى هى اساس هناء الأسرة ، ومن أهم أسباب استحكام عرى الوئام بين اعضائها .

آداب الثياب والحلي

١ — يجب ان تكون نظافة الثياب ملازمة لنظافة الجسم ، ونتيجة له . فأن قذرها مع نظافة الجسم ، لا يخلى حاملها وصف الاتساخ ، كنظافتها مع قذره سواء .

فعليك اذن بنظافة الثياب ، لاسيما المجاسد (١) منها . ولاتنس أنك اذا عنيت بها ونسقتها على جسمك ، بما لا يمجه الذوق ولا ينافى الادب ، رفعت من منزلتك فى أعين الناس ، وتركت لمهابتك أثرا فى نفوسهم .

---

(١) جمع مجسد على وزن (مبرد) هى من الثياب مايلى الجسد كالشعار .

وقد قيل : « حسن اللباس عنوان الأكياس » .

٢ — اذا جاز للمرء التجمل بالثياب ، والخروج الى الناس فى أحسن الهيئات ، فليس من الفطنة مجاوزة القدرة ، باقتناء الثياب الجامعة ، الى جمال الهندام ، غلاء الثمن .

فأن أقل ماوراء هذا السرف ، التعرض للضيق والوقوع فى أزمة الفقر .

على أنه يكفى المرء أن تكون ثيابه نظيفة ، ليعد من المتجملين .

٣ — وكما أن من حسن الرأى ، اتقاء السرف فى الثياب ، من سلامة الذوق اجتناب التأنق فيها ، بما يتعدى الحشمة ، وعدم اتخاذها آلة للمباهاة والخيلاء .

فأنه لايلتمس الفضيلة من لبسه ، إلا من يحس بالرذيلة من نفسه . وفى أولئك الذين يباهون بثيابهم ، قال الشاعر :

يامن تلبس أثوابا يتيه بها

تيه الملوك على بعض المساكين

ماغير الجلّ (١) أخلاق الحمير ولا
نقش البراذع أخلاق البراذين (٢)

٤ – يراعى فى اقتناء الثياب، أن تكون ملائمةً لثروة المرء، وموافقةً فى زيها لسنه، ومهنته، ولفصول السنة التى تتقلب عليه.

وإذا دعت حرارة الصيف، الى لبس الثياب الخفيفة، فليراع فيها الكمال. اذ لايلائم الاحتشامَ أن يسير الانسان فى الطريق، عاريَ الذرعين او الصدر او الظهر مثلا.

٥ – حافظ، ما أمكن، على المشاكلة بين ألوان الثياب، والتوفيق بين اجزائها.

فلا تتخذها مبرقشةً (٣) بالألوان المتنافرة فى الذوق السليم، ولا مؤلفةً من رثّ وجديد، ولا من طويلٍ وقصير، ولا مفصلةً على زيّ (٤) من الازياء الحديثة مالم تتفق

(١) الجل ماتلبسه الدابة لتصان به
(٢) البراذين جمع برذون وهو الدابة.
(٣) من برقش خلط فى اللون. ومنه تبرقش أى تزين بألوان مختلفة ومنه أبو براقش طائر صغير يتغير لون ريشه الوانا شتى.
(٤) الزى بالكسر الهيئة والشكل تقول « زى الشرق مخالف لزى الغربى » وقد اتفق الكتاب المصريون على استعمال هذه الكلمة فيما تؤديه عند الاوربيين كلمة (المودة) من المعنى.

عليه الأذواق، ولا ينافى الكمال والوقار .

٦ — صن ثيابك مما يحدث فيها ، من بقع الزيت والبيض والقهوة والزبدة، وحافظ عليها من سرعة البلى والتمزق ، بالترفق فى طيها، ووضعها فى المكان الخاص بها ، كلما خلعتها [1]

٧ — لاتجعل ثيابك طويلة تتجرّر أذيالها، ففى تطويل الذيل تلفٌ للمال ، بشراء مايزيد عن الحاجة من النسيج ، وإضرار للصحة، بما يلتصق به من قذر الطريق .

وقد أدركت هذه الحقيقة بلدية فيينا [2] ، فسنت قانونا يعاقب السيدات اللائى يسحبن أذيالهن فى الطريق ، بعد أن اتضح لها ، بالتحليل الكيمائى ، أن هذه الأذيال ، تحمل جراثيم الامراض القتالة .

ورأى الأمام على ، رضى الله عنه ، رجلا يجرّ إزاره

(١) قال أبو جعفر . « طى الثياب راحتها وابقاؤها »
(٢) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اسبال القميص والازار حيث قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة »
(٣) فيينا عاصمة النمسا بالقرب من نهر الدانوب . عدد سكانها نحو مليونى نسمة ومحيطها ٣٠ كيلو مترا .

فضربه بمخصرة [١] كانت فى يده ، وقال له : « ارفع إزارك لاتأكله الأرض » .

٨ — يتعمد بعض السيدات ، فى منازلهن ، لبسَ الثياب الرثة والجلابيب التى لايليق البروز فيها ، فيكون هذا الاهمال ، سبب تعريضهن لاحتقار الخدم والاطفال ، وكراهية الازواج ، وهو ماينبغى لهن اجتنابه . كما لايجب عليهن أيضا التبرج [٢] فى الطرقات ، لأن زينة النساء لا تكون إلا داخل منازلهن .

٩ — من السرف المذموم فى التجمل ، بل من دلائل التجرد من الذوق ، أن تتختم المرأة بالخواتم فى جميع أصابعها ، وبالأساور الكثيرة ، فى جزء كبير من ساعديها .

فأن خاتما واحدا فى إصبع ، وسوارين في المعصمين اظهر لزينتها من اخفاء تلك الاعضاء تحت الذهب والالماس .

---

(١) المخصرة بكسر الميم مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه . وهى ايضا القضيب الذى يشير به الخطيب الى الناس اذا خطب . وكان عبد الله بن انيس يسمى بذى المخصرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه مخصرة

(٢) التبرج من تبرجت المرأة اذا اظهرت زينتها للرجال .

أما الرجل ، فالاليق به ، ان تختم ، ألا يزيد عن خاتم واحد في خنصر يده اليمنى .

١٠ – اجمل حلية لأذن المرأة القرط الخفيف الذى ، اذا علق بشحمة الأذن ، لايؤلمها ولا يمدّدها فيشوهها .

١١ – احرص على نظافة الحذاء ، باجتناب القذر في الطريق ، ولا تزر غيرك وأنت عالم بقذره ، أو بأنه مكتسٍ بالعثير ، بل نظفه عند مساح الاحذية ، أو فى أداة التنظيف ، اذا كنت تعلم ان بباب المزور واحدة منها .

١٢ – لاستجادة الحذاء دخل فى وقاية البدن من بعض الامراض .

وأول ماينبغى لك رعايته فيه ، ألا تتخذه مدبب الاطراف ، يصيبك بمسمار القدم والتفلع (١) الموجب للنتن بين الاصابع ، ولا واسعا غليظا تسمع له فرقعة فى اثناء السير .

ويحسن ان يكون واطىء الكعب ، لاسيما للمرأة لأن الاحذية العالية الكعب تصيب اعضاءهن بالضر

(١) التثلم أو الشقوق فى القدم من فلع بمعنى شق أو قطع .

وهذه (ماري كريستين) والدة ملك اسبانيا الأخير ، لا تأنف ، لكبر قدميها ، من لبس الاحذية الكبيرة ، التى فيها راحتها . ومن نساء انكلترا من تكون على جمال رائع ، ويتوقف كمال جمالها على صغر قدميها ، ثم هى لا تلبس الا الاحذية الموافقة لهما .

واذا كان من العيب والغفلة ، لبس القبقاب والمنقلين (١) لغير الغرض المقصود منهما بداخل البيت ، فمن علامات التجرّد من الذوق والفطنة ، لبسهما والجلوس بهما امام الباب .

١٣ — الواجب فى لبس القلنسوة (٢) ، طربوشا كانت او عمامة ، ألا تكون صغيرة لا تغطى الرأس ، ولا كبيرة تحتوى الاذنين وتبتلع الوجه ، بل وسطا بين ذلك يرتكز مقدمها من الامام على الجبهة ، ومؤخرها ، على الطرف الخلفى من الرأس .

١٤ — الوضع المناسب للطربوش أو العمامة على

---

(١) المنقلان من نقل بمعنى الخف أو الشبشب .

(٢) القلنسوة جمعه قلانس وقلانيس مايلبس فى الرأس . وتقلنس لبس القلنسوة .

الرأس الاستواء، بلا ميل محسوس الى احد الجوانب، مع رعاية جعل الزرّ بين الكتفين، وجعل العمامة بارتفاعٍ واحد وسمكٍ واحد.

١٥ — اذا كان لايلائم الذوق، أن يتخذ اللابس طربوشا ضيقا، ويعطى له الاوضاع المنحرفة فوق رأسه، فمن الابتذال المرذول، جعل العمامة حوله فى منتهى العرض من جهة. وقصارى الرقة من الجهة المقابلة لها، كما يعمل بعض متظرفي المعممين.

وبالجملة، فالتصرف فى لبس القلنسوة، بما يفيد أنها جعلت للزينة والبهرجة، لا لستر الرأس ووقايته من أعراض الجوّ، انتقالٌ من الحشمة الى الابتذال.

١٦ — لاغنى للمرء عن المنديل، فى حله وترحاله، ونومه ويقظته، ليكون فى متناول يده عند الحاجة.

وعادة اليابانى، ان يحمل طائفة من المناديل المتخذة من ورق الأرزّ، لأنه لايستعمل المنديل الواحد، الا مرة واحدة، اجتنابا للقذر ومنعا للعدوى.

أما فى بلادنا: فيحسن ان يحمل المرء منديلين، احدهما

للاستعمال فيما يستقذر ، كتنظيف الحذاء ، والآخر لغيره كتنظيف العين او الوجه .

ولا يصح ابراز المنديل من الجيب ، كما لايليق ان يكون من النسيج الثمين ، لاسيما فى يد الرجل .

آداب النوم واليقظة

١ — فى النوم راحة البدن ، وتعويض مافقدته الاعضاء من القوة فى النهار ، فيجب على الانسان أن يستوفىَ قسطه منه ، بشرط ألا يذهب فيه ، الى مايؤذى الجسم ، ويحول دون القيام بالواجب .

والزمن الكافى لأنالة الجسم راحته بالنوم ، سبع ساعات كاملة ، على ماقرره علماء الصحة ، مالم يكن الانسان مريضا أو به تعب شديد .

٢ — من بواعث حسن الصحة ، تعود التبكير بالنوم واليقظة . ولا تكتسب هذه العادة الا بتحديد المواقيت لهما .

فرتّب إذن هذه المواقيت لنفسك ، بحيث لاتكون قبل غروب الشمس للنوم ، ولا بعد شروقها لليقظة . واعلم ان شروق الشمس فى كل صباح ، منبه طبيعى ينبهك الى ضرورة نهوضك ، لمزاولة عملك .

كان ارسطو الفيلسوف (١) ثقيلَ النوم ، مع ولعه بالمطالعة والدرس ، فكان ، لخوفه من غلبة النوم عليه ، حيث يجب العملُ ، يتخذ طستا من نحاسٍ بجانب سريره . فاذا أخذ مضجعه ، اخرج يده ممسكا بها كرةً من الحديد ، فكان كلما غلبه النوم سقطت الكرة من يده فى الطست ، فيستيقظ لوقته من صوتها الرنان .

٣ – لا بأس من السهر احيانا بشرط الاعتدال ، إذا قضت به ضرورة الاشتغال بعمل نافع ، كهذا كرة الدرس ، والمسامرة فيما يفيد ، والترويح عن النفس باجتلاء مناظر الطبيعة ، فى الليالى المقمرة ، وحضور تمثيل الروايات المهذبة

---

(١) ارسطو ويسمى ايضا ارسطاطاليس احد فلاسفة اليونان ولد بمقدونيا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ وعمره ٦٢ سنة وكان تلميذا لافلاطون ثم انفصل عنه وجمع شوارد العلوم في الطبيعيات وما وراءها من اسفار كثيرة ترجمت الي اللغة الفرنسية في ٣٥ مجلدا وسبق للعرب ان ترجموا بعضها . وهو معلم الاسكندر الاكبر المقدونى مؤسس الاسكندرية .

أما قضاء الليل في المقامرة، أو فيما يماثل حفلاتِ الافراح والموالد، فأنه، فضلا عن ضرره البليغ بالمرء، ينافي مصلحة الاجتماع والعمران، بما يجرّ اليه من تضييع الوقت، فيما يضرّ كثيرا ؛ ولا ينفع فتيلا .

٤ — الغرض من فراش النوم، طلبُ الراحة للبدن بالرقاد عليه، فكل عمل تعمله، وأنت فيه، كالقراءة والكتابة، والأكل والشرب، يكون من وضع الشيء فى غير موضعه .

والقاعدة ألا ينامَ، فى كل فراش، اكثر من واحدٍ، صونا لصحته ؛ واتقاء لضرر اختلاط الانفاس .

٥ — على الولد البارّ بوالديه، أن يقصدهما قبل نومه وبعد استيقاظه، ليحييهما، ويطلق لسانه بالدعوات الصالحات لهما .

وتستحسن هذه العادة من جميع أفراد الأسرة، بعضهم نحو بعض . إذ يجمل بمن حسنت تربيتهم، ألا يفترقوا للنوم ولا يجتمعوا بعده، عن سكوت وتناكر، كأن لم تكن بينهم صلة، من صلات القرابة والمعرفة .

٦ – يجمل بالمرء، اذا هرع للنوم، ان يذكر أنه مقبل على حالة، يكون فيها بلا فرق بينه وبين الموتى، وأن يطرح أمامه صحيفة عمله فى يومه. فأن كان ما فيها خيرا، حمد الله عليه، وعاهد نفسه على المزيد منه، واذا كان شرًّا، تضرع اليه تعالى بطلب المغفرة عن ذنبه، واعتزم الرجوع عنه وعدم الوقوع فى مثله.

فأن محاسبة المرء نفسه، على ما كسب لها واكتسب عليها، فى أمور دينه ودنياه، أدعى الى توطيد قدمه فى الخير ووقايته من الشرّ.

وجديرٌ بمن حاسب نفسه، فرأى منها ما يرضيه، أن ينام نوما هادئا لا انزعاج فيه[1]

٧ – مما يقتضيه، حفظ الصحة ان يتخذ المرء لنفسه لباسا خاصا بالنوم، يجب ان يكون بحيث يستريح فيه الجسم، على شرط موافقته للحشمة.

ومفهوم أن هذا اللباس، يلبسه صاحبه ويخلعه فى

---

(١) اذا استشعر الانسان النوم يحسن به ان يقول « باسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسى فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » وان يقول اذا استيقظ « الحمد لله الذى احيانا بعد ان اماتنا واليه النشور » وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند نومه ويقظته

خلوته ، بدون أن يستعين بأحد .

آداب الطعام والشراب

١ – لا يكون الغذاء نافعا للجسم ، الا بالاعتدال فيه ، وعدم الخروج منه الى التخمة المهلكة ، التى وردت فى التحذير منها آية : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » . وحديث : « لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فأن القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء » .

وحدُّ الاعتدال فى الغذاء ، مابينه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حينما بعث المقوقسُ (١) اليه هديةً وطبيبا ، فقبل الهدية وردَّ الطبيب حيث قال : « نحن قومٌ لانأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لانشبع » ، أى لانبلغ من الأكل الحد الذى نشبع فيه .

---

(١) المقوقس لقب كان يطلق على حكام مصر من قبل دولة الروم ومعناه باليونانية « الحاكم » والمقوقس الذى اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وطبيبا هو جورج بن مينا حاكم مصر من قبل الملك هرقل وكان العرب يسمونه « عظيم القبط » وهو يونانى الاصل الا انه كان كثير العطف على الاقباط .

٢ — من أهم وسائل الاحتفاظ بالصحة، تحديد مواقيت الطعام، والحرص عليها. فأن تحديدها يقى الانسانَ شرّ ادخال الطعام على الطعام، الذى قال فيه الرئيس علىّ ابن سينا (١) : « احذر طعاما قبل هضم طعام »، وأجمع علماء الطب على أنه من الاعراض القتالة للمرء .

وكفى من يدخل طعام على طعام خزيا، انه يعيش ليأ كل لا يأ كل ليعيش، كالحيوانات السائمة فى المرعى الخصيب .

٣ — اذا كان من الشره، أن يأكل المرء فوق حاجته، أو كلما سوّلت له نفسه، غير مقيد بميعاد محدود، فمن الشره المقرون بالسرف والحمق، أن يطيع شهوات بطنه، ويلبى نداءه، فيأ كل كلّ مايقع اليه، وينفق فى هذه السبيل مااستطاع من مال .

سئل أحد ملوك الروم : « ماتعدّون الاحمق فيكم؟ »

---

(١) ابن سينا المعروف عند الافرنج باسم أفيسين هوابو على الحسين الشيخ الرئيس ولد (سنة ٣٧٠ هجرية — ٩٨٠ ميلادية) وتوفي (٤٢٨ هجرية — ١٠٣٦ ميلادية) قرأ كتب المنطق والطبيعي والرياضى والطب ومهر فيها علما وعملا فى السنة السادسة عشرة من عمره ثم قرأ العلم الالهى وما بعد الطبيعة فأتى عليهما فى الثامنة عشرة . ومن مصنفاته كتاب القانون والشفا والنجاة . وقد ترجم القانون الى الفرنسية وكان يدرس بجامعة مونبلييه الي اواخر القرن الثامن عشر وكانت وفاته بهمذان .

فأجاب : « الذى يملأ بطنه من كل ماوجد »

نخليق بمن يعلم أن المعدة بيت الداء، ألا يسوق اليها من موادّ الغذاء المتنوعة، مايجعله رهين الامراض والاسقام.

٤ — من النصائح الجامعة لنظام التغذى، قول أبى عثمان الثورى لابنه : « أىْ بنىّ عوّد نفسك مجاهدة الهوى والشهوة : فلا تنهش نهشَ السباع، ولا تخضم (١) خضمَ البراذين، ولاتدمن الأكل ادمان النعاج، ولا تلقم (٢) لقم الجمال، فأن الله جعلك انسانا، فلا تجعل نفسك بهيمة. واحذر سرعة الكظة (٣)، وسرف البطنة (٤)، فقد قال بعض الحكماء : اذا كنت نهما (٥) فعدّ نفسك من الزمنى (٦)

« واعلم ان الشبع داعٍ الى البشم (٧) والبشم داع الى السقم، والسقم رسول الموت. ومن مات هذه الميتة، فقد مات ميتة لئيمة، لأنه قاتل نفسه، وقاتل نفسه الأم من

(١) من خضم أكل بأقصى الاضراس مع مجموع الفم
(٢) من لقم أكل وابتلع بسرعة
(٣) الكظة من كظ ملاء الاناء ومعناه امتلاء المعدة بالاكل
(٤) البطنة هى والكظة سواء
(٥) النهم هو المفرط فى الطعام
(٦) الزمنى هم المبتلون بالامراض
(٧) البشم هو التخمة

قاتل غيره

« أى بنىّ ! قد بلغت تسعين عاما ، ما نقصت لى سن ، ولا انقشر [١] لى عصب ، ولا عرفت دنين [٢] أنف ولا سيلان [٣] عين ، ولا سلس [٤] بول ، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد ، فاذا كنت تحب الحياة فهذا سبيل الحياة » .

٥ — أرأيت ذلك الذى يتحين اوقات الطعام ، عند جيرانه ، أو الذين لهم به صلة معرفة ، فينساب اليهم على غرة منهم ؟ أو ذلك الذى يجوس خلال الديار ، ارتيادا لولائم الافراح ، كى يندس بين المدعوين ؟

ذلك هو الطفيلى الساقط الهمة ، الصغير النفس ، الذي يعرض كرامته للامتهان ، لأنه مع قدرته على ارضاء بطنه ، بشهىّ الطعام ، يفضل ان يكون امتلاؤه به من مائدة الغير ، بما ركز فى طبعه من الطمع والبخل .

وغشيان الناس على موائدهم ، من المذمومات المحرمة : في جميع الشرائع . وقد ورد فيه حديث : « من مشى الى طعام

(١) انقشر بمعنى انسلخ وتجرد من غشائه
(٢) دنين الانف نوع من النزيف
(٣) السيلان من سال جرى وسيلان العين جريان مائها .
(٤) سلس البول هو ان لايتمسكه الانسان فيخرج فى غير ميعاده .

لم يدعَ اليه مشى فاسقا وأكل حراما ».

٧ – لاريب أن الطعام يكون شهيا، اذا دار الكلام فى أثنائه، على ما يكون فيه بسط النفس، وانشراح الصدر.

فمما يحسن توجيه النظر اليه، اجتناب الاحاديث المهيجة للانفعالات النفسية، كالمناقشات السياسية والدينية، والمباحثات العلمية العويصة، لأنها تهيج تلك الانفعالات فينشأ عنها عسر الهضم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تحدثوا على الطعام، ولو بثمن اسلحتكم ». ذلك لأن الحديث على الطعام فيما لايثير الخواطر من الموضوعات، أدعى الى كثرة المضغ فسرعة الهضم.

كان المستر غلادسنون [1] يقول: مااستطعت المثابرة على العمل، وقد تجاوزت الثمانين من العمر، الا برعاية ثلاثة أمور: التخلى عن كل عمل يوم الأحد، واصلاحى ارض حديقتي بيدى، والكلام على الطعام، بحيث أمضغ كل لقمة

---

(١) غلادستون هو وليم ايوارث ولد بليفربول سنه ١٨٠٩ وتوفى بهواردن سنة ١٨٩٨ ولى رئاسة الوزارة الانكليزية اربع مرات ثم اعتزل السياسة سنة ١٨٩٤ وفى وزارته الثانية من ١٨٨٠ — ١٨٨٥ احتل الانكليز مصر.

ثلاثين مرة »(١) .

٨ — من الشمائل المحمودة ، تضرّع المرء الي الله سبحانه وتعالى ، ولو فى نفسه ، كلما جلس الى الطعام ، بأن يديم إسباغ هذه النعمة عليه ، وان يبارك له فى رزقه .

وكما يبدأ الطعام بهذه الضراعة ، يختمه بحمد الله وشكره على نعمته(٢) .

آداب الدعوة الي الوليمة

١ — ينبغى ألا يقصد الداعى بالدعوة الى الطعام ، حب الظهور والمباهاة ، بل توثيقَ المودة ، أو تكريمَ ذى فضل ، أو ماجرى هذا المجرى من الاغراض الحميدة .

والدعوة تكون : إما باللسان ، وإما بالكتابة ، فاذا

---

(١) ظهر ببلاد امريكا اخيرا مذهب يسمى (فلتشريـهم) نسبة الي مؤسسه المستر فلتشر وهو يقضى على الآخذين به اطالة المضغ حتى يصير الطعام سائلا قبل ابتلاعه : وكان هذا الرجل مريضا ومشرفا على الموت فخطر له ان يمضغ الطعام هكذا فنجا من الموت واسس هذ المذهب .

(٢) كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول عند بدء الطعام « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه » وعند قيامه عنه : « اللهم اجعله هنيئا مريئا وابقنى بعده قائما بشكرك محافظا على طاعتك » .

كانت باللسان فليس الميعاد فيها بشرطٍ ، لأنها إنما تكون بين أناس ارتفعت من بينهم الكلفة .

لهذا لا يليق بالمدعوّ ، ان يجبهَ الداعى بالرفض ، مالم يتسع له فى ذلك صدر العذر .

واذا كانت بالكتابة ، فمن الواجب المبادرةُ بالاجابة عليها ، إما قبولا وإما رفضا . وتكون الاجابة بالقبول ، مقرونةً بالشكر ، وبالرفض متضمنةً جميل الاعتذار . وحكمة المبادرة بالأجابة ، ان يتبين الداعى من أجابوا دعوته ، فيرتب المائدة ويهىء الطعام ، بحسب عددهم .

ومن الدعوة باللسان ، مايكون وقوعه اتفاقا ، كأن يدعى أحد اصدقائك ، وأنت شاهد ، فتدعى بحكم التبعية . والواجب فى هذه الحالة رفض الدعوة ، مالم تكن هناك صلة بين الداعى والمدعوّ ، إذن فلا غضاضة من التبعية عليه .

٢ ـ من سلامة الذوق ، ان تجمع تذاكرُ الدعوة ، الى بساطة الشكل ، اختصار العبارة ، واقتصارها على مايؤدى ، بالدقة ، معنى الدعوة ومكانها وزمانها .

فيحسن إذن ، ان تكون تلك التذاكر ، من الرقاع

المستطيلة الشكل ، المتوسطة الحجم ، الخالية الحواشى والاركان ، من آثار الذهب ، والرسوم ، والرموز ، وأن تطبع بالحبر الاسود دون غيره .

كما أن الاليق ، فى تحرير عبارتها ، البعد عن الاسهاب والتكلف ، فلا تصدر بالابيات الشعرية ، أو الاحاديث ، النبوية ، ولا يفتح للسجع البارد فى سطورها مجال .

٣ ـ جرى المصريون ، فى دعواتهم ، على عادات يجب العدول عنها ، لمخالفتها اصول الآداب الاجتماعية ، ومنافاتها للعقل والذوق .

منها : أن يؤكد الداعى أنه يدعوك لشرب قدح من القهوة ، فاذاهو قد اعدّ لك طعام وليمة . وربما كنت قائماً عن مائدتك فى هذه الساعة ، فيكون بمثابة من يدعوك الى ادخال الطعام على الطعام .

ومنها : الاكثار من الوان الطعام ، مع الانتقال فيها من الحامض الى الحلو ، ومن البارد الى الساخن ، ومن كل نقيض الى نقيضه .

ومنها : عدم التمييز ، فى الدعوة ، بين المدعوّين ، فترى

المائدة الواحدة تجمع حولها مدعوين يختلفون في الاعمار، والمقامات، والصناعات، ويجهل الجميع بعضهم البعض.

ومنها: تحديد ميقات الدعوة، فى الساعة العاشرة على الاصطلاح العربى نهارا، وليس هو ميقات طعام فى اعتقاد الداعى، لأنه لا يأمر بعدّ الموائد فعلاً. الا بعد ذلك بثلاث ساعات.

وكفى هذه العادة حطةً، انها قائمة على الكذب، والسرَف، والجهل بالذوق والمناسبات.

٤ – من فطنة الداعى وكياسته، ألا يدعوَ من يعلم ان الاجابة تشق عليهم، لسبب ما، وألا يجمع حول مائدته إلا من تآلفت طباعهم، وتشابهت ميولهم ومذاهبهم، حتى لايتأذى بعضهم ببعض.

وليس للمدعو، أن يميز الداعى الغنى بأجابة دعوته، دون الفقير. لأنه يخرج من هذا الاحتياط الى التكبر المذموم (١).

---

(١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن على بقوم من المساكين يأكلون فسلم عليهم فقالوا: «هلم الى الغداء يا ابن بنت الرسول» فقال: «نعم ان الله لايحب المتكبرين» ثم نزل واكل معهم.

٥ – للمدعو أن يرفض الدعوة التى يعلم أن فيها، من أسباب الطرب واللهو ، مالا يناسب مركزه ، ولايتفق مع الدين والأدب .

٦ – ليس لمدعو أن يقترح على الداعى طعاما بذاته ، أو يتحكم بطلبه ، إلا اذا سقطت الكلفة بينهما، وكان المدعو لايوافقه الا أطعمة خاصة .

فربما كان الانفاق عليه فوق طاقته ، أو لم يكن فى بيته من يكون عالما بتهيئته .

وهذه عادة مستقبحة ، وان تكن مألوفة فى الاقاليم ، والعدول عنها واجب .

واذا خير الداعى مدعوه بين طعامين ، فمن العفة ان يتخير المدعوّ أيسرهما مؤونة ، وأقلهما كلفة .

٧ – مما يتنافى مع الذوق ، فى الدعوة الى الطعام ، جعل تاريخ البطاقة التى ترسل الى المدعو ، قريبا من ميقاتها المضروب ، تفاديا من سوء التأويل . فقد يسبق الى ظن المدعو ، عندما يرى تاريخ الدعوة قريبا من ميقاتها ، أنه إنما دعىَ ، ليملأ فراغا نشأ عن اعتذار مدعو أصلى ، وصاحب

الشمم والكرامة يأبى ان يكون ، فى وليمة ، سداداً من عوز ، او أن يكون مايسميه الفرنجة : سد الثقب (١)

٨ — من الاحتياط الممدوح ، تعيين ميقات الدعوة فى يوم يعرف الداعى انه الانسب لقبولهم إياها . ولما كان القبول غير ميسور على إطلاقه ، إذ قد يكون وقت الفراغ لبعضهم وقتَ عملٍ للبعض الآخر ، فمن صواب التدبير وحسن المداراة ، اختياره بحيث يكون اوفق لسوادهم ، اذا لم يكن لهم جميعا ، وذلك بجعل الدعوة الى العشاء بدلا منها الى الغداء مثلا ، مع رعاية ان تكون الموافقةُ فى جانب اكبر المدعوين سنا أو ارفعهم مقاما ، لا فى جانب الآخرين

٩ — الميقاتُ المبين فى تذكرة الدعوة ، هو ميقات الجلوس الى المائدة ، والشروع فى الأكل .

لذا يليقُ أن يكون توارد المدعوّين ، فى غضون الخمس عشرة الدقيقة السابقة عليه ، لاقبلها ، خشيةَ أن ينصرفَ الداعى عن الاهتمام بتدبير المائدة ، الى الاحتفاء بهم .

---

(١) Bouche - Trou

ويحسن برب الدار ، خلال تلك الدقائق ، أن يعرّف المدعوين بعضهم ببعض ، إذا اتفق أن منهم من لم يرتبطوا برابطة التعارف ، لكى إذا قاموا الى المائدة ، لايكون إحجام عن كلام ، أو حياء على طعام

ومتى دنا الميقات ، تقدّم الداعى الى مدعويه ، راجياً منهم أن ينهضوا الى الطعام ،

ولا يليق بمدعوّ ، مهما يكن عذره ، أن يتأخر دقيقة واحدة عن الميقات

١٠ — على الداعى أو من ينوب عنه ، تعيين المقاعد للمدعوين ، وعلى هؤلاء ألا يهتموا بالأماكن المخصصة لهم ، إذا كانت معينة من قبل بأسمائهم

وترتيب الجلوس الى المائدة ، أن يتوسطها الداعى ، ويجلس تجاهه أكبر المدعوين شأناً ، أو الذى لأجله أقيمت المأدبة ، ثم يتلوهما بترتيب الأقدار ، من يجلس الى يمين الأول ، ثم من يجلس الى يمين الثانى ، ثم من يجلس الى يسار الأول ، ثم من يجلس الى يسار الثانى ، ثم من يامن الجالس الى يمين الاول ، فمن يامن الجالس الى يمين

الثانى ، ثم من ياسرَ الجالسَ الى يسار الأول ، فمن ياسر الجالسَ الى يسار الثاني ، وهكذا .

الآداب الواجبة على المائدة

١ — من أدب أوضاع الجسم ، إذا أخذ المدعوّ مكانهُ من المائدةِ ، أن يكونَ فى استقامة ، فلا يكبّ به الى الأمام ، ولا يرمى به الى الخلف ، ولا يولى بظهرهِ الى أحد الجالسين يمينهُ أو يسارهُ ، ليقبلَ بوجهه على الآخر ، إذ الواجبُ لفتُ الرأسِ فقط يَمنةً أو يَسرةً ، تبعاً لحاجةِ الحديثِ .

وليس له أن يستندَ بالمرفقين على حافة المائدةِ ، بل بمعصمى اليدين فقط . كما لا يليق الانسحابُ فى أثناء الطعام ، إلا لعذر بين ، يسرّ به فى أذُنِ الداعى وفى هذه الحالة يحسنُ ألا يستفسرَ أحدٌ عن سببِ انصرافِ ذلك المدعو فجأةً .

٢ — يطرحُ المنديلُ على الفخذَينِ . ولا يناطُ بالرقبةِ ولا بثنيات الثياب ، وفى نهاية الطعام يجعلُ الى

جانب الصحفة ، بحيث لايشغل مكاناً كبيراً . وينبغى إذا وُضعَ للأطفال أن يغطىَ صدورَهم ، وقايةً لملابسهم .

وإذ كان الغرضُ من المنديل وقايةَ الملابس من القذر ، ومسح الشفتين عند الحاجة ، فمن المستقذَر استعماله فى مسح الوجه ، أو أعضائه ، أو فى تنظيف المدية والشوكة والقدح ، لما فى هذا الفعل من الأشعار باتساخها .

٣ — لايحسن بمدعوٍّ ، أن يقلبَ أدواتِ الأكل فى أثناء الطعام ، أو يطيل فيها النظرَ ، أو يقرأ الكتابةَ التى عليها ، كأنها كانت فاقدةً ، وظفرَ بها .

٤ — إذا فرَط من الخادم خطأ أو تقصيرٌ فى الخدمة ، فمن الصواب ألا يؤاخذه سيده عليه جهراً ، وإنما ينبههُ الى إصلاح خطأه ، بلطفٍ وبدون أن يشعرَ به أحد .

وله بعد انصرافِ المدعوّين ، أن يعزّره ماشاء ، فيتقى بهذا الاحتياط ، مايحتملُ وقوعهُ من سوءِ أدبِ الخادم ، قولاً أو فعلاً .

٥ — يغرَفُ الحساءُ (١) ، وتوضعُ صحافه على المائدة ،

---

(١) الحساء هو الشوربة

قبل جلوس المدعوين ، بشرط ألا يتجاوز ملء مغرفة كبيرة ، وإلا ملأ المعدة ، وحال دون تناول الألوان التالية . ولا يصح تكرار الطلب منه . وإذا بقي بعضه في قاع الصحفة ، وتعذر تناوله بالملعقة ، فمن حطة النفس التحيل على إصابة هذه البقية ، بأمالة الصحفة أو بسكب مافيها في الملعقة .

وتترك الملعقة في الصحفة ، بعد تناول مافيها ، مع الاحتراز من صدم الاناء بها

ويحسن في شرب الحساء ، أن يكون من جانب الملعقة ، وألا يمص مصاً ولا ينفخ فيه

واذا كان الآكل طويل الشاربين،فليحتط حتى لا يعلق بهما منه شيء ، فيصير مغمزا لبقية الآكلين وأضحوكة لهم . ولا بأس عليه من تجفيفه إياهما بأن يمسحهما بمنديل الطعام ، كلما علقت بهما قطرات الحساء . وهذا التكرار ، على كراهته ، أولى من التعرض للاستهزاء .

٦ — يبدأ بتقديم الطعام الى الجالس يمين الداعي ، ثم الى الجالس يساره ، ثم الى الجالس يمين الاول ، ثم الى

الجالس يسارَ الثانى ، وهكذا بالتناوبِ على الترتيب الآنف.
ولا يقدم الى رب الدارِ إلا فى آخر الجميع

ذلك إذا لم يكن هناك مدعوٌ مقصودٌ اكرامه بالذاتِ . فاذا وُجد ، وكان الجلوسُ بحسب المقام وخطورةِ الشان كان تقديمُ الطعامِ الى المدعوّين ، تبعا لمقاماتهم (راجع الفقرة العاشرة من الباب المتقدم) .

وتقدّمُ الاطباقُ التي يأخذُ المدعوونَ حاجتهم منها ، من جانبهم الأيسرِ ، ولا بأسَ من إعادة عرضِ كل لونٍ عليهم . وإنما يكونُ من حسنِ الذوقِ ، التلطفُ فى الامتناعِ .

٧ — من القواعدِ المألوفةِ تغييرُ المدية والشوكة عندَ كل لون ، ولكن لابأسَ من اغفال هذه القاعدةِ ، على موائدِ متوسطى الحال ، وغيرِ القادرين على اقتناء الكثير من أدواتِ الأكل ، إذ يكفى استعمالُ سكينٍ واحدةٍ ، لكل آكل ، مالم يكن ضمنَ الألوان سمكٌ ، إذن ينبغى تخصيصُ مديةٍ وشوكةٍ لأكله .

٨ — مما ينافى الذوقَ ، أن يجبذَ الداعى طاهيهُ ، أو

ان يذكرَ أنه أنفق كذا وكذا على الطعام، وزخرفةِ المائدة .

ومما تأباه نفسُ الكريم ، إذا لحظ تقصيراً فى الخدمة ، أو نقصاً فى تهيئةِ الألوان ، التورطُ فى قولٍ أو فعل ، يقصد بهما إعلان زرايته بهذا النقص .

٩ — من أمارات حب الذات ، استئثارُ المدعو بأحد آنية الطعام العامة ، كآنية الملح والفلفل .

لذلك يجدر به ، إذا أخذ حاجته منه ، أن يجعله فى موضع تصلُ اليه ايدى بقيةِ المدعوين .

وعلى الأصغر سناً فى موائد الطعام ، أن يلحظَ بعينِ رعايته الشيوخ وأصحابَ المكانةِ فى العلم والرياسة ، ويتطوعَ لقضاءِ مايريدونهُ ، بلاتكاف فى ذلك ولارياء . ولاشك أن هؤلاء ، يَعرفون له حق هذه الكرامة ، بالشكر والامتنان .

دعا هارونُ الرشيدُ (١) يوماً أبا معاوية الضرير ،

(١) أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدى هو خامس الخلفاء من العباسيين بويع له (سنة ١٧٠ هجرية — ٧٨٦ ميلادية، وتوفى سنة ١٩٣ هجرية — ٨٠٩ ميلادية) ارتقت في أيامه الآداب والعلوم بما منحه من الحماية والرعاية لأربابها . وكان سمحا شجاعا كثير الحج والغزو حج فى خلافته ثمانى وقيل تسع حجج وغزا ثمانى غزوات . وفى خلافته توفى مالك بن أنس صاحب مذهب مالك . ووزراؤه يحيى بن خالد بن برمك وابناه جعفر والفضل وقد نكبهم سنة ١٨٩ هجرية

فصبَّ الرشيدُ الماء على يدِهِ فى الطست . فلما فرغ ، قال : يا أبا معاوية ، أتدرى من صب الماء على يدِكَ ؟ قال : لا . قال : صبهُ أميرُ المؤمنين . قال : يا أميرَ المؤمنينَ إنما أكرمتَ العلم وأجللته ، فأجلكَ الله كما أجللتَ العلمَ وأهله .

١٠ — لا يحسنُ بمدعوٍّ ، تحديقُ النظر فى بقيةِ المدعوين وهم يأكلونَ ، لكيلا يخجلوا ، أو فيما بين أيديهم ، من أطباق الفاكهة والحلوى ، كما لو كان يرومُ الاختصاصَ بها من دونهم .

وإذا عرضَ جارُه عليه ، مشاركتهُ فى طعامه ، فعفةُ النفس تقضى بالامتناعِ ، ولو لجَّ الطالب .

١١ — خليقٌ بالمدعو أنْ يجرىَ على المعتاد فى أكله ، فلا ينقص من عادتهِ حين يأكل وحدهُ ، وإلا كان إقلالهُ من الطعامِ ، عندَ الاجتماع ، تصنعاً ورياءً .

وأثقلُ الضيوفِ من يحوجُ غيرَهُ الى تعهدِهِ ، فى الأكل .

١٢ - إذا عرضَ على مدعوٍّ صنفٌ من الطعامِ ، ليأخذَ منه حاجتهُ ، وكان هذا الصنفُ مما تأباهُ شهيته ،

ويُرفضهُ معدتهُ ، فيحسن به التلطفُ فى الاعتذار عند الامتناع ، وعدمُ ذكر أسبابِ الرفض كائنةً ما كانت .

دُعى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرةً ، فقدّمَ اليه ضب (١) مشوىٌ فعافته (٢) نفسه . ولكنه لم يبغضه للدّاعين ، فقالوا : أوَ حرامٌ اكله يارسولَ الله ؟ قال : لا ولكنهُ ليسَ من طعامى ، فكلوه وهوَ حلالٌ .

١٣ — إذا تناول المدعوّ طعاماً شديدَ الحرارة ، أوْ لم يألفْ طعمهُ ، ثم لم يجدْ بدّا من لفظه ، فمن حسن الاحتياط ، أن يرفعَ الصحفةَ الى فمه ويلفظهُ فيها ، ثم يبادرُ بتسليمها الى خديم السماط (٣)

وإذا كانَ الشىء المرادُ لفظه قطعةَ عظم ، أو بذرةَ فاكهة ، أو غيرَ ذلك مما يتفق وجوده فى الغذاء أحيانا ، فلا بأسَ من تلقيهِ فى الكف ، بحيثُ لا يشعرُ الحاضرون .

١٤ — إذا رأى المدعوّ في الطعام شيئاً تضطرب منه النفس ، فمن سلامة الذوقِ وحسن التسامح ، التغاضى

(١) الضب حيوان دون الهرة جمعه ضباب وأضب

(٢) عاف الرجل الطعام والشراب يعافه عيافة كرهه

(٣) خديم السماط هو الخادم الذى يتولي ترتيب الطعام وتقديمه للمدعوين والسماط هو مائدة الطعام

عنه ، حتى لايخجلَ صاحبُ الضيافة ، أو يتنبه المدعوون فينالهم من تقزز النفس مانالَه ، أويقعوا في خطيئة الانتقاد .

١٥ – لايليق بالأدب ، أن يأكل المدعوّ الخبز وبيده سكينٌ أو شوكةٌ ، أو يملأ الملعقةَ بالحساءِ حتى الحافة ، أو يمسك الشوكة بيسراه حين لاحاجةَ له بقطع اللحم ، أو يأخذَ الملحَ بيد الشوكةِ أو الملعقة ، أو يستعمل بعضَ أدواتِ المائدة لغير ماجعلت له ، كأن يأخذَ المطعومات الجامدةَ بما تؤخذُ به المطعوماتُ السائلةُ ، والعكس بالعكس ، أو يكسرَ الخبز بالمديةِ دون أصابع اليدِ .

١٦ – إذا علق باليدِ دسمٌ أو وضرٌ (١) ، فمن حطة النفسِ مسحها في خوان السفرةِ ، وإنما تمسحُ اليدُ في منديل الطعام ، ولا يليق تنفيضها في الصحفة ، أو تنفيضُ المنديل فيها من فتات الطعام وبقاياهُ .

ولا يتفقُ مع النظافة تسخيرُ الأصابع في أكل اللحم بدلاً من الشوكة ، وإنما إذا كان اللحمُ من الشراسيف (٢)

(١) الوضر أثر المطعومات كالسمك واللحم الخ في اليد
(٢) الشراسيف هي الضلوع المعروفة بالكستليتة في لغة المطاعم

أو الطيورِ ، جاز إمساكه بالأنامل من أطرافِ العظمِ والأكلُ منه ، مع اجتنابِ بواعثِ القذرِ .

والعظام التى تجرّد من اللحم ، يضعها الآكلُ على حافةِ الصحفةِ مما يليه .

ومن آيات ضبطِ النفس ، إذا شرعتَ فى تناول اللحم ، ألا تقطعه كلهُ إربا ، تلتهمها بعضها تلوَ بعضٍ . ولقد يكفيك جزءٌ منه ، فاذا فعلت ذلك اتهمتَ نفسك بالجشع ، وظهرتَ فى مظهر من أخذ على معدته العهدَ ، أن تتسعَ لكل مايلقى فيها ، ولو تجاوز الحاجة . ويحسن بالآكل ألا يقطع من اللحم ، إلا بقدر قابليته منه .

وقد اعتاد بعض المتأنقين إدخالَ المحار ، ضمنَ ألوان طعامهم . فاذا قدّم هذا الصنفُ إلى أحدهم ، ولم تكن معه الأداة الخاصة بتناوله ، فليمسك المحارةَ باليد اليسرى ، وليتناول ما فيها بالشوكة . وليس من أدب المائدة التحيلُ على اجتذابه إلى الحنك ، بحركة الشهيق ، كمن يحاول تعاطى قهوة البنّ وهى ساخنة .

١٧ — إذا قدّمتْ اليك القهوةُ أو الشاى ، فلا

تسكبهما فى أطباق الفناجيل ، لأنَّ هذا الفعلَ ، فضلاً عما فيه من القذر ، يناقض آداب الطعام .

وإذا وقع مدعوّ فى هذا الخطأ ، عن جهل أو حسن نيةٍ ، فليس لآخر أن يلاحظَ عليه ، أو يهزأ منه .

ومما يروى فى هذا الموضوع ، أنّ أميراً دعا قروياً الى تناول الطعام في قصرهِ ، فصبّ القروى الشايَ فى الطبق ثم تناولهُ ، فضحك بعضُ المدعوين ، فاستاء الاميرُ لذلك ، وصبّ الشايَ فى طبقه اقتداء بالقروى ، حتى لايتأذى من فعل أولئك المستهزئين .

ومن دلائل الاهمال فى شرب الشاى ، تركُ ملعقة السكر فى الحوجلة [١] وهو يشرب ، فينسكب بسببها هذا الشرابُ على الثياب . والواجبُ وضعُ الملعقة فى الطبق ، عند الفراغ من الحاجةِ اليها .

١٨ — حرىّ بمنْ حسنَ تأديبهُ ، ألا يقتدىَ بأصحاب البطنةِ والشرهِ الذين يسقطون على الطعام ، فلا يحشونَ به أفواههم ، حتى يقذفوا به ، من غير مضغ ،

---

(١) قارورة الشاى.

الى قرار معدائهم .

وواجب تصغير اللقمة ، والاطالة فى مضغها ، حتى لايغص بها الآكل ، أو يضطر فى ابتلاعها ، الى تجرع الماء تباعاً .

ومما ينافى الذوق ، وتمجه النفس ، شم اللحم والخبز قبل وضعهما في الفم ، وقضم الخبز بالاسنان ، ثم غمسه فى الصحفة ، والانحناء بالجسم عليها عند إدخال اللقمة فى الفم ، ورفع قدح الماء الى الشفتين باليدين معاً ، والشرب فى أثناء امتلاء الفم بالطعام ، والكلام فى أثناء المضغ بحيث تتناثر أجزاء الغذاء من الفم ، على وجوه الآكلين وفى صحافهم ، والتمطق ، والتلمظ لاستخراج مايتخلل الاسنان من بقايا الطعام ، والتكلم مع شخص بينه وبين المتكلم مدعو أو أكثر ، والقراءة أياً كانت .

١٩ — البيض المضهب [١] يكسر من رأسه

(١) هو المعروف بالبيض البرشت والبرشت كلمة دخيلة من الفارسية وأصلها النمبرشت أى نصف الناضج

الفرطاحِ [١] ، لا من رأسهِ المدّببِ ، ولا من وسطهِ .

وتوضعُ قشورهُ ، بعدَ أكلِ مافيها ، فى الصحفةِ ، ثمّ تكسر بملعقةٍ أو سكينٍ ، كيلا تبقى حافظةً شكلها البيضىّ ، فتتدحرجُ ، وتسقطُ على المدعوين ، عندَ رفع الصحافِ .

ويوضعُ الملحُ أو الفلفلُ فى البيضِ ، بالملعقةِ الخاصةِ بهما .

ولا يفيد فى اكل البيض ، جعلُ قطعة الخبز مستطيلة لتغمس فيه ، لما يعقب هذا الفعل ، من ارتفاع محّ البيض وزلاله ، بما أزاغت الكسرةُ من مكانهما ، فينسكبان من الفوّهة المفتوحة ، ويتلطخُ منديلُ الطعام أو غطاء المائدة بهما ، إذا لم تتلوثّ الثياب أيضا .

والأوفق ، دفعا لهذا المحظور ، تصغير قطع الخبز وترقيقها ، وتناولها نعد غمسها فى البيض . وليس من حسن التدبر والاحتياط ، إمساك البيض بأصابع اليد اليسرى ، لأن الضغط بها على البيضة ، بغير شعور من الآكل ، مفضٍ إلى انكسار القشرةِ وانسكاب مافيها على اليدِ والثياب .

---

(١) الرأس الفرطاح أو المفرطح من البيضة هو الطرف العريض ويقال أيضا مفلطح . وحكمة الكسر منه أنه يليه فضاء (غرفة) مملوء بالهواء فاذا كسر منه سهلت ازالة القشر حواليه ولم ينسكب زلال البيض فى اثناء ذلك

٢٠ - القاعدة فى تناول الزبدة، أن مايؤخذُ منها بالمدية الخاصةِ بها، يوضعُ على كسرة الخبز، ثم يرفع إلى الفم. فمما يخالف آداب الطعام، أن يدحى مايقتطع منها على شقّ من الخبز، ليقضم به قضما بعد ذلك.

ومما يخالفها أيضا، الامساك بقطعة الجبن لتقشيرها، كما تقشر التفاحة. فان تقشير الجبن بالسكين لايكون إلا على الصحفة. ولاتستعملُ الشوكة لرفعه بعد ذلك إلى الفم، بل أن مايقطع منه بالسكين، يوضع على كسرةِ الخبزِ كما توضع الزبدة.

٢١ — الفطائرُ لاتمسك باليد لترفع الى الفم؛ بل تقطعُ بالمدية وترفعُ بالشوكة، وكلتاهما خاصةٌ بها. ولاتقطع قطعةٌ إلا بعد ازدراد القطعة السابقة. وإذا كان الفطير محشوًّا بالقشدة السائلة، فتستعمل الملعقة الصغيرة لتناولها.

٢٢ — فى تناول المكارونى بعض الصعوبة، لطول اسلاكها. لذا كان من أقبح الاوضاع التي يتخذها الآكل، لكى يتمكن من تناوله، أن يستند بساعديه إلى مائدة الطعام، جاعلاً الصحفةَ بينهما، ومقدماً رأسه لمسامتتها.

وإنما الطريقة لتناول المكاروني ، لفّ أسلاكه حولَ الشوكةِ، إذفي لفهِ على هذا الوجه، غنىً عن استعمال المدية .

٢٣ — لأكل الخرشوف ، يثبت بالشوكة على الصحفة ، وتنزع أوراقه بالمدية . ثم يقطع اللبّ ويرفع الى الفم قطعةً بعد قطعةٍ . وإياك أن تستعينَ بالمديةِ على قطعه ، لأنه إذا كان نصلها حديداً أو صلبا ، تركت عليه بقعاً سوداء ينبو عنها النظر .

أما الهليونُ فيقطع بحدّ الشوكة من طرفه الطرىء ، مع أمساكه من الطرف الآخر ، بأنامل اليدِ اليسري . وإذا بلغ الآكل منه الى ما لا تعمل فيه اسنان الشوكةِ ، فلا حرجَ إذا رفع بقيتهُ إلى الفم ، لامتصاص ما يحتويهِ من النخاع . وحكمةُ تقطيع الجزء الطرىء منهُ على الوجه السابق ، وقايةُ الآكل ضررَ رفعه كله إلى الفم . إذ يكون مغموسا بالأصباغ والتوابل السائلة ، فتساقط القطراتُ منه ، عند رفعه اليه ، على اللحيةِ والثياب . ويكون الآكل وقتذاك هزأةَ للناظرين .

والطماطمُ ، والقرنبيط ، والاسفاناخُ ، والجزرُ ، واللفت

والبطاطسُ، والكرفس، تستعمل الشوكةُ فى تناولها لليونتها بالطبخ، وعدم الحاجة فيها إلى المدية.

وأصنافُ الخضر المشهية (السلطات)، تدخل تحت هذا الحكم. فمما ينافى النظافةَ إمساكها بالأنامل، إلا الفجل بانواعه، فأنه يمسك من منابت اوراقه.

٢٤ — جانب الطريقة التركية فى أكل البطيخ والشمام، أى بعد انتزاع القشر والبذور منهما. فقد تكون يدُ من تولى انتزاعهما ملوثةً بلوثٍ، فيصيبان الآكلين ببالغ الضرر

والطريقة المثلى لأكلهما، الاستعانة بالمدية والشوكة، فى فصل القشر والبذر عن اللباب، احداهما للقطع والاخرى للتثبيت والتناول. وخليق بصاحب النفس الكريمة، اذا أراد فصل القشر من اللباب، ألا يمعن فيه بالمدية، فيتهمه الناظرون بالحرص والجشع

٢٥ — الفواكه ذات النواة، كالكراز والبرقوق وما شاكلهما، ترفع بالانامل الى الفم من عنقها، ولا تلفظ النواة فى الصحفة أو تودعُ اليدَ مطبقة على شكل القمعِ،

كما يفعل الكثيرون . والأحوط لفظها فى الملعقة ثم طرحها منها فى الصحفة .

أما قطوف العنبِ ، فتمسك باليـد اليسرى ، وتنزع حبوبها باليمنى ، الواحدة تلو الاخرى . وهى خير طريقة لطرح بذورها وقشورها ، وأبعدها عن مزالق النقد . واما الفراولة ، فتمسك من عنقها بالأنامل ، ان كانت كبيرة الحجم ، ثم ترفع إلى الفم بعد غمسها فى دقيق السكر . اوتؤكل بالملعقة بعد انتزاع اعناقها ، إن كانت صغيرة .

ولأكل الموز طرق ، أسهلها تثبيت الموزة بالشوكة من ناحية العنق ، ثم نزع قشرته بالمدية من الناحية الأخرى . وليس من أدب الطعام قطعه إربا كرة واحدة ثم أكله بالتتابع

والكمثرى والتفاح يزال قشرهما بالمدية ، بعد تثبيتهما بالشوكة ، من أعلى إلى أسفل . ثم تقسمان أربعة ارباع لأزالة البذور ، وتؤكلان بالشوكة بعد ذلك .

وفى الولائم الكبرى ، تتخـذ المدى الفضية لقطع الفاكهة . لأنها إذا كانت حديدا أو صلبا ، أسودّ نصلها بملامسة تينك الفاكهتين .

٢٦ — لاتشرب الماء عبًّا بل مصا، من غير صوت. فاذا تجرّعت منه كفايتك، ثم لاح للضائف ان يملأ قدحك بعد فراغه، فبادر الى شكره فى لطف وهشاشة، اشعارًا له بكفايتك. واذا كان الخادم هو الذى همّ بملء القدح، فحسبك أن تومىء اليه باليد إيماءة تنمّ برقتها على شكرك اياه. وحاذر فى حركاتك على مائدة الطعام، أن تغطى قدح الماء بكفك، كأنك تصونه من يد غاصبة، أو تحول دون سقوط شىء فيه

٢٧ — الملح والفلفل يؤخذان من انائهما، بما أعدّ لهما من ملاعق خاصة بهما. فلا يجوز اذن ان تأخذ منهما حاجتك بطرف المدية، إلا اذا غابت الملعقة. وليس فى شىء من النظافة، أن تتناولهما بين السبابة والابهام، لتذرّه على طعامك، وانما يكون ذلك بطرف المدية، بعد وضع مقدار منهما على حافة الصحفة

٢٨ — اذا كسرت الخبز، فحاذر ان تفتته، أو ان تتخذه مادة، لتصوير اشكال من الحيوانات والأشياء، تلتمس بذلك ادخال السرور على الاطفال، او ان تكوّره

بين أصابعك . لغرضٍ او لغير غرض . فإن هذا العبثَ مما يستقذره الراءون .

٢٩ — فى بيوت بعض المتأنقين ، وفى الفنادق الكبيرة ، يقدم الى الآكل مع الفواكه غالبا ، قعبٌ من الفضة أو النحاس أو البلور ، محلى بنقوش عربية أو غيرها ، وفيه قليل من الماء الفاتر الذى أضيفت اليـه قطرات من روح النعنع .

والغرض منه غسل أطراف الاصابع فيه ، ثم الامرار بها على الشفتين اللتين تجففان ، عقب ذلك ، بمنديل الطعام . فليس من الفطنة ، وقد ادركت هذا الغرضَ ، أن تغسلَ فيه اليدين الى الرسغين ، أو ان ترفعه الى شفتيك ، لارتشاف الماء الذى فيه ، كما يفعل بعض الجاهلين .

ولعلك تؤثر على هذه الطريقة ، غسلَ يديك قبـل الطعام وبعده ، على الوجه الذى يدعو اليه الشرع ويطالب به علم الصحة

آداب مابعد تناول الطعام

١ – يعود المدعوون ، بعد تناولِ الطعام ، وغسل الأيدى ، إلى بهو الاستقبال ، بمثلِ النظامِ الذى جاءوا منه به .

ويحسن ألا يؤمهم صاحبُ الدّعوةِ اليها ، كما تقدّمهم منها الى غرفةِ الطعامِ ، إشعاراً بارتفاعِ الكلفة ، وزوالِ الوحشة .

٢ – جرت العادةُ بأن يقضى المدعوونَ جنحاً من الليلِ فى السمرِ ، على أثرِ تناولِ الطعامِ .

فالانصرافُ مباشرةً بعدَ الأكل ، لايطابقُ مقتضى الذوقِ ، ولا واجبَ المجاملة ، اللهمّ إذا كانت ثمة ضرورة ، سبق الكلامُ فيها معَ الداعى ، دفعاً لتوهّمِ الغيرِ أن إجابة الدّعوة ، كانت لمحضِ الرغبة فى تناولِ الطعامِ .

والمدّة التى يحسنُ ان يقضيها المدعوّ فى بيت الداعى ، بعد الفراغ من الطعام : ساعةٌ أو بعضُ الساعةِ ، ولا يكونُ انصرافهُ إلا بأذن منه .

٣ — إذا استأذن مدعوّ فى الانصراف ، فليجتنب ما استطاع توديع بقية المدعوين ، منعاً لما عساه أن يقع ، لهذا السبب ، من اختلال النظام .

وعلى الداعى ، أن يشيعه الى باب الدار ، ويزوّده عبارات المودّة والتكريم

٤ — جرى الاوربيون على عادة لابأس بها لمن يروم الاقتداء ، وهى زيارة المدعوّ داعيه خلال الثمانية الأيام التالية للوليمة . وتسمى هذه الزيارة عندهم بزيارة المراءة أى هناءة الطعام وحمد مغبته . والأليق التعجيل بها .

آداب المخدوم والخادم

١ — بين المخدوم والخادم شركة ، أساسها مالكلّ وما عليه من الواجبات والحقوق . هذه حقيقة لاريب فيها ، إلا أن بعض المتجبرين والطائشة أحلامهم يتحامون العمل بها ، اعتقاداً بأن فى دفعهم المال اليسير لخدمهم ، مايجعل لهم حقا فى استعبادهم .

ولو أخذ المخدومُ الامرَ بالرويّة ، لأيقن أنّ عليه لخادمه من الحقوقِ ، أكثرَ مما له عنده من الواجبات .

نعم ، ان المخدومَ يوافى الخادمَ بأجرته ، ختامَ كل شهر ، ويضمن له العيشَ بذلك ، ولكن يحسن ألا يفوته أن هذه الأجرةَ هى جزاء ماقدمتْ يداه من العمل فى خدمته ، وأن من يتخذْ لنفسه خادماً تجبْ عليه حمايته ورعايته .

وإذا ساغ للمخدوم أن يطالبَ بالطاعة خادمهُ ، أفلا يكون من الانصاف ، إحاطة هذه التبعية بشىء من العطف وسعة الصدر ؟

٢ — احترام الخادم المخدوم ، يجىء على طريق الألهام ، لاعلى طريق الأرغام . لأنه بحسنِ معاملته إياه وجميلِ رعايته له ، يبثّ فى نفسه الميلَ إلى احترامه والطاعة له . أما إذا عامله بالاهانة والشدّة ، فحالٌ أن يطمع فى إخلاصه له ، ولو أغدق عليه احسانه .

فمن حسن الرأى إذن ، أن تأخذَ خدمك بالمعروف ، فتثنى عليهم وتشكرُ لهم ، كلما استحقوا الثناء والشكر . ولا تقطع عليهم غذاءهم ولا نومهم ، ولا تحرمهم عطفك

ومواساتك ، إذا نزل بهم مكروهٌ ، ولا تضنّ عليهم بنصحك ، اذا احتاجوا إلى الارشاد . وحذار من ممازحتهم ومطايبتهم ، او الافضاء بأسرارك اليهم ، لأنه اذا ضاق بسرّك صدرك ، فإن صدرهم به أضيق .

٣ — إذا أخذ المخدومُ على خادمه خطأ ، فليكن عادلا رفيقا فى أخذه عليه . وليتحامَ ألفاظ السباب والهجر ، فى تأنيبه وإرشاده إلى الصواب . فان من عزّة النفس الترفع بها عن سقط القول ، وبذىء اللفظ . وحسبك ، في مثل هذه الحالة ، بسط الذنب وشرح ما أنتجه من سوء العاقبة ، تعجيزا للمذنب عن انتحال الحجج ، وإخجالاً له .

وليس مما يستميل فؤادَ الخادم ، تذكيرك أياه بسيئة أتاها فيما غبر ، مالم يكن لها ارتباط بسيئةٍ جديدة أنشأتَ تلومه بسببها . لأن من يحاسب خادمه بخطأ سبق العقاب عليه ، كمن يتقاضى دينه من مدينه ، بعد ان تكون ذمته قد برئت منه .

٤ — وإياك والعنفَ بخادمٍ لم يتعمد الغلط . لذا كان من خصال الحلم والرفق ، أن تقابلَ بالتسامح وكرم النفس ،

خطأ من توقن براءته من سوء القصد فيه . وبقدر ماتصلح هذه الخلال من خلق الخادم ، يزيده ضدها فساداً وشراسة ، ويدفعه الى ارتكاب السيئة عن قصدٍ ، نكايةً فى سيده ، تلقاء اسرافه فى تعنيفه . فأياك إذن وطرائقَ العنف والمشاكسة ، تعاملُ بها خادمك ، اذ بالاحسان اليه والرفق به ، يسلس لك قياده ، ويكون أتبعَ لك من ظلك مع صدق الولاء والاخلاص .

٥ ــ إذا عنّ لمخدومٍ أن يحاسب خادمه على سيئةٍ ، أو يؤاخذه بذنب ، فليكن ذلك فى مكانٍ بعيد عن الأنظار والأسماع . لأن فى اطلاع الناس على عورة الخادم وزلته ، ما يستفزّ العزّة فى نفسه ، وربما تجاوز الأدب بفعلٍ أو قول . ولا تجوز مؤاخذة الخادم أمامَ الأطفال ، إلا إذا أريد أن تكونَ عقوبته ، عظةً زاجرة لهم ومثلاً مضروبا . ومن علوّ الهمة ، زجر الأطفال عن إهانة الخادم المسيء ، بقول جارح أو إشارة ازدراء . لأن الشماتة بعد المؤاخذة عقوبة ثانية لجريمةٍ واحدة ، وليس عدلا مقابلة ذنبٍ واحدٍ بعقوبتين .

ومن حسن التربية ، أن يتحامى الطفل الظهور فى مظهر الآمر للخادم . إذ الأليق ، إذا عنت له حاجة ، أن يطلبها منه بلطف الرجاء . فاذا بادر بقضائها ، كان من آيات الأدب شكرُ هذه المبادرة له . وإنما يجوز لآل الطفل تكليفه بنقل أوامرهم اليه ليدربوه ، منذ نعومة الاظفار ، على الأخذ بالأدب والحزم فى معاملتهم .

٦ — لاتأمر الخادم إلا بما تعتقد أنه صوابٌ وفائدة وحق ، فلا تطق منه إذن ، متي أمرته بأمر ، التوانى والبلادة فى تنفيذه .

واعلم أن أمرك بالشىء ، ثم نقضك إياه بأمر آخر ، يحطّ من هيبتك فى نظره ، ويدعو إلى اختلال نظام الخدمة المنزلية .

وكثيراً مايصدر المخدوم أمراً يعتقد انه صواب ، على حين انه عنه بمعزل . فإذا لحظ الخادم وجه الخطأ ونبه عليه ، فليأخذ سيدُه برأيه فى الحال ، ولا غضاضة عليه فى ذلك . وقصىّ مرامى النظر من ارباب البيوت ، من يعمد إلى حسن الحيلة فى استثماره آراء الخدم ، فيما يهمه من شأن ،

ويعمل بما يراه منها أقربَ إلى الصواب والمصلحة .

٧ – إذا تراخى الخادم فى تنفيذ الامر ، بما يقتضى من الاتقان والسرعة ، فليزن المخدوم مسئوليته فى تراخيه ، بميزان النظر الصحيح ، وليطلعه عليها في تؤدة تمزرها قوةُ الاقناع . ولا يضعن نفسه أبدا تحت سلطان التأثر بالغضب والتهوّر ، لأنهما سرعان ماينتقلان بصاحبهما الى التطاول بالبذاءة والتعدى . والتنبيه على الغلط ، إذا اقترن بمثل هاتين الخصلتين لا يأتى بالفائدة المنشودة ، دع أنه يكشف للخادم نقائصَ مولاه ومواقع زلاته .

٨ – إذاعرا المخدومَ شكٌ فى أمانة خادمه ، فليمسك بهذا الشك فى نفسه ، حتى ينكشفَ له وجه اليقين فيه . فإذا تأكدت عنده الشبهة ، فليجعل البرّ بالانسانية ذريعةً لمعاملته بالتسامح والعفو ، كأن يخلى سبيله متكتما ذنبه الذى أخذه به . وربما ندم المذنب على مافرَط منه وتاب وأناب ، فيكون ذلك التشهيرُ مما يسدّ في وجهه ابوابَ العيش الشريف.

ومن آياتِ الرفق والأحسان ، إذا سألك ذلك الخادم شهادةً ، ان تزودَه إياها ، متحاميا الأشارة الى ذنبه الذى

نُدم عليه ، كيلا توصدَ أبواب الخدمة فى وجهه عنـد غيرك ، ومقتصرا على ذكر مدة خدمته ومبلغ أجرته .

٩ — من حسن الاحتياط ، عندما يتولى الخادمُ عمله فى البيت ، أن تجعلَ فى عهدتهِ وتحت مسئوليته المتاع الذى يخشى عليه الضياعُ أو التلف . فإن هذه الحيطة تدعوه إلى تقدير مسؤليته ، فيحرصُ على هذه الوديعة ويصونها من الضياع أو الفساد .

والعادةُ أن يتولى ربّ البيت أو ربته ، حفظ مفتاح خزانه الأغذية . فمما يحسن ، إزاء ذلك ، تعويدُ الخادم أحضارَه من تلقاء نفسه ، بعد قضاء حاجته منه ، أو إذا نسيهُ احدهما فى مكان ما .

١٠ — إياكَ والغشمرةَ فى معاملة الخادم . فاذا واجهته فى شأن ، فليكن خطابك له فى لينٍ ومعروف ، وباللفظ الصريح الذى لايحتمل التأويل . وحاذرْ أن يخالط هـذا الخطابَ ، غمزٌ بالعينين أو تحريكٌ للشفتين والحاجبين ، تحاول أن تؤدىَ بهما معنى من المعانى . ولا تجعلنه يستشعرُ فى موقفهِ منك مايستشعرُه المتهم فى موقفه أمامَ القاضي .

فإن فى اتقائك هذه المحظورات ، مايزيدُه تعلقاً بك وحرصا على مصلحتك وتفانيا فى الاخلاص لك .

وإذا أتقن عمله أو جاء بآية من آيات الاخلاص لك ، فلا تبخل بالثناء عليه ، لأنك تثبتُ قدمه بذلك ، في هاتين الفضيلتين . ولا غضاضةَ على كبار الأقدار أن يرفقوا بالخدم ، فلا يقطعون عليهم نومهم أو طعامهم ، إلا لأمرٍ يقضى به سبب قاهر .

١١ — إذا أصبحت فى غنى عن خادمك ، فنبئهُ بذلك قبل ميعاد صرفه بثمانية أيام ، مالم يكن ثمة ما يستدعى صرفهُ فوراً . فإن فى تلك المهلة تمكيناً للمخدوم من البحث عن خلفٍ له ، وللخادم من التماس خدمة تقيه شر الحاجة .

وإذا صرف المخدوم خادمه على الفور ، فمن فعالِ البرّ وآيات الرفق بالضعفاء ، أن يزوّده أجرة ثمانيةِ الايام ليتمكن من البحث مطمئنا عن عمل جديد .

١٢ - إذا كان للخادم من الأهل أو القرابة من يود افتقادَهم بين حين وحين ، فمما يجمل بالمخدوم ألا يضن بذلك عليه ، مرةً أو اكثر فى كل شهرٍ ، بحسب مايتفق

عليه فى بدء الخدمة . وانما يجب على الخادم ، قبل انصرافه لمشارفة أحوال أهله وتعهدهم ، أن يتخذَ من التدابير ما يكفل اطراد سير الأعمالِ المنزلية في طريقها المرسوم .

١٣ – إذا نزل بالخادم مرضٌ وهو فى الخدمة ، فمن أجلّ مظاهر المروءة والوفاء ، قيامُ المخدوم بنفقةِ علاجهِ ، وتعهده إياه بالعيادة او السؤال عنه يوميا .

وعلى الخادم البصير بواجبه ، متى أحسّ إقبال المرض عليه ، أن يجتهد في استخلاف غيره على عمله لمدة مرضه ، بأجرٍ يؤديه اليه من عنده . فاذا استعصى الداء وعزّ الدواء ، قرر الطبيب مايناسب حاله ، إما بمواصلته الخدمة وإما بنقله إلى المستشفى أو إلى دار أهله .

وإذا مات الخادم ، فمما يأخذ بسمع الكريم وبصره ، أن يتبرعَ المخدومُ بنفقة جنازتهِ ، وأن يسير فيها متقدماً أهله . أما إذا تزوج فمن الكياسة واستقامة الطبع ، أن يتحفه المخدومُ بهديةٍ نافعة ، تتناسب قيمتها مع مدة خدمته ومدى اخلاصه له .

١٤ – الخادم الذى قضى شطرا كبيرا من حياته فى

خدمة أهلك ، وعانى المشاقَّ فى تربيتكَ ، ودفع الأخطار عنك ،حقيقٌ بعطفك ورحمتك، إذا أعجزه الهرم عن مواصلة العمل . فاذا أعجزه الكبرُ عن أدائه فلا تفتح باب بيتك ، على مصراعيه ، لتدعه يموتُ على قارعةِ الطريق . بل اجعله فى كنفك بقيةَ أيام حياته ،أو قه ذلّ الحاجة، ان لم تستطع إبقاءه عندك .

١٥ — الطاعة والاحترام فرضان متحتمان على الخادم لمخدومه ، على أن يكونا خاليين من أثر التصنع ، وقصد المخاتلة . وعليه أن يتحرّى ، فى زيه ، البساطةَ والنظافة .

١٦ — ليس لخادم أن يجلسَ فى حضرة مخدومه ، ما لم يدعه هو إلى ذلك لسببٍ ما . وعلى المخدوم ، إذا رأى خادمه يتناولُ الطعامَ ،ويهمّ بالوقوف إجلالاً له ، وهو مايجب عليه ، أن يدعوه إلى لزوم مكانه ، حتي لا يقطع عليه طعامه . وفى هذا من لطف الاحتياط وجميل الرعاية ، مايحمد عليه

١٧ — إذا خاطب الخادمُ مخدومه بلهجة التهكم ، أو ابتسمَ ابتسامةَ الازدراء ، فقد أوجب على نفسهِ من

العقوبة مايردعه عن مجاوزة حدود الأدب .

على أن خيرَ الوسائل لأيقاف الخادم ، عند الأدب الواجب نحو مخدومه ، أن يجعل هذا الأخيرُ نفسه ، فى قوله وفعله ، قدوةً حسنة لخدمه .

١٨ – وضعُ الكلامِ فى صيغةِ الغائبِ ، أنسب مايخاطب به الخادمُ مخدومهُ . فعليه أن يقول مثلا : أيأمر سيدى . . أيرغب . . أيسافر الخ . وإذا كان المخدوم من ذوى الالقاب ، فليجعل في خطابه مايشعر بذلك كأن يقول : أيأمر سعادة الباشا . . أو معالى الوزير ألخ .

ولاينسينّ الخادمُ أنّ عليه من الفروض لابناء مخدومه ، نفسَ ماعليه منها لوالدهم . فلا يجرّد اسماءهم من آيات التكريم الذى من أليق مدلولاته وأصدقها ، لفظ : سيدى أو سيدتى . وليتحاش إسناد ماللآباء من الألقاب الرسمية إلى اسماء الابناء . فلا يقولنّ لمن يحرز والده رتبة الباشوية أو البكوية سيدى فلان بك ، لأن الرتبة التى أحرزها الآباء باستحقاقهم ، لاتسرى الى ابنائهم الذين لم يصبحوا ، بعد ، أهلا لها .

١٩ – ليس للخادم أن يستقبلَ أحداً من أقاربه ، إلا بأذن مخادومه ، على شرط ألا يتعدّى ذلك المرتين أو ثلاث المرات فى العام . ومن كرم الضيافة وجميلِ الرعاية ، أن يأمرَ المخدوم خادمه بتقديم الطعام لزائره ، فى المكان المناسب ، وألا يطالبه بأداء عملٍ ما معه ، مالم يتصدّ اليه من تلقاء نفسه .

آداب الهدايا والتهادى

١ – جرَتْ سنةُ الناس ، من قديم ، بالتهادى فى مختلف المناسبات ، كالوضع والختان والزواج والاعياد الدينيه والمدنية الخ .

والتهادى يحللُ دقائقَ الاحقاد ، ويستلّ أوغارَ الصدور ، ويوثق عرى التحابّ بين الناس . فهو مرغوب فيه اذن . وانما على شرط ألا يحرجَ المهدِى والمهدَى اليه ، بغبنٍ أو سوء تأويل .

٢ – قيمة الهديةِ بالباعث النفسىّ على اهدائها ،

وبالاخلاصِ وسلامة الذوق فى تقديمها، لا بما تسواه من المال أو تشغله من الحيز. فلا جناحَ على مُهدٍ، أن تكون هديته رخيصةَ القيمة أوضئيلة الحجم، فقد قالوا: «الهدايا أظرفها أخفها، وأنبلها أقلها. وليس له أن يعتذر عن ذلك بقلة الحيلة أو ضيق اليد، كما ليس للمهدَى اليه ان يستقلّ الهدية، إذ النظر الى الهدايا بمعناها لا بمبناها، وبغايتها دون وسيلتها.

كتب بعضهم: «لاتهدنى مايجحف بحالك، فأنه لايزيدنى غنى ولا يحرمنى مجاملتك وحسن رعايتك»

٣ — أصدق الهدايا أثراً فى النفس، وأدلها على قدر مهديها ورقة شعوره وسلامة ذوقه، ماتقرّ بمرآه العين وينشرح الصدر، كبواكير الثمار وطرفِ الازهار. وأعلى الهدايا وأغلاها واصدقها إفصاحا عن شعور المهدى، ما يكون من أثر فكره أو صنع يده، كالأنشاء الرائع نثراً ونظماً، أو الصورةِ المرسومة أو النسيج المزركش أو الكتاب المخطوط الخ.

وأجلّ الهدايا وأجملها، مايراعى فيه الطباق بين ذوق

المهدِى وذوقِ المهدَى اليه وسنه ومركزه فى المجتمع . فمن وضع الشىء فى غير موضعه ، اهداء باقات الازهار الجميلة ، الى من تفيدهُ هديةُ الثوب المتين ، يقيه بأس الحرّ والقرّ ، أو الغذاء الجيد ، يدفع عنه الجوع وذلّ السؤال .

٤ — لاتقدمُ الهدية مباشرةً الى المهدَى اليه ، الا اذا كان من قرابة صاحبها ، أو كانت من الصغير الى الكبير . أما اذا كانت من الكبير الى الصغير ، أو من الرئيس الى المرءوس أو ممن لاتجمعه بالمهدى اليه آصرةُ القرابةِ ، فالأمثل ان يكون تقديمها على يد وسيطٍ ، مالم تلمحْ فى ذلك غضاضة ، فلا بأس من الاستغناء عنه .

ومن الكياسة وحسن المداراة ، ألا تتجاوز هديةُ الرجل الى المرأة المتزوجة من ذواتِ القرابةِ ، الازهارَ والحلوى ، أو المتاعَ النافعَ الرخيصَ ، بعد الاستئذان من الزوج . أما الهدايا النفيسةُ من الجواهر والمصوغات ، فمن دلائل الفطنة والأخذِ بالأليق ، ألا يفكرَ أبداً فى اهدائها اليها .

٥ — من شروطِ الهديةِ ، حرصُ المهدَى اليه عليها

بها ، فإن فى تفريطه فيها اعلاناً بتنحيه عن صداقة المهدِى ، أو استخفافا بما بينهما من صلاتٍ ، إن كان من ذوى قرابته او مودّته .

وإذ كان من الغفلة والاستهتار ، التصرّفُ فى الهدية بأهدائها أو اغفال شأنها ، فمن سقوط الهمة التصرفُ فيها بالبيع ، مهما تكن الحاجةُ الى ثمنها .

٦ — ليس من المروءةِ ولا من سلامة الطبع ، أن يمنّ المهدِى بهديته على المهدَى اليه ، كأن يذكره بثمنها أو بما اقتضاه صنعها من جهودٍ ، أو كأن يذيع أمرها بين الناس .

وفى النوادر ، أن بعضهم أهدى آخر ديكا ، فكان إذا خاطبه بعد ذلك ، أرّخ بديكه فيقول : « كان ذلك يومَ أهديتكَ الديكَ ، أو قبله أو بعده بكذا من الايام أو الأشهر »

وأهدى رجل صديقا له فالوذَجةً (١) عتيقة زنخةً ،

---

(١) الفالوذجة — البالوظة فى أيامنا — حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل . ومن قول بعضهم : « أمير يأكل الفالوذجا » ويقال له الفالوذق والفالوذ والفالودج بالدال المهملة ، وهو مأخوذ من فالوذه بالفارسية الجمع فواليف

وكتب اليه : « لقد اخترتُ لعملها سكرَ السوس (١) والعسلَ الماذى (٢) » فردّ عليه : « برئت الى الله إن كانت هذه الفالوذجةُ قد عملت إلا قبل أن يوحى ربك الى النحل »

واذا اقتضى سياق الحديث، أن تذكر مخاطبكَ بهدية أهداكها ، فليكن كلامك عنها تنويها بما أفدته منها

٧ – مهما حقرَ شأنُ الهدية أو قلتْ قيمتها ، فأن على المهداة اليه أن يتلقاها بقبول حسن ، وأن يعربَ لمهديها عما بعثتْ من السرور فى نفسهِ ، ودلتْ عليه من الرعاية ومتين الاخلاص

وإذا تعدّت قيمتها طاقةَ مهديها وقدرته على اقتناء مثلها ، فمن لطفِ الشمائل مخاطبتهُ فى ذلك ، برقيقِ العتب الممزوج بآيات العطف ، مع مراعاة الاقصار والاختصار .

٨ – من مصايد القلوب، أن تقومَ بمفروض الشكر لمن يتحفك بهديةٍ ، إما بزيارتك إياه ، أو بتوجيهك اليه كتابا تقوم فيه بمفروض الشكر له .

(١) السوس شجر تمتد عروقه فى الارض . وهى تنقع فيعطى نقيعها مرارة يسيرة تتصل بحلاوة طويلة . ويعمل من نقيعها رب السوس وهو ينفع من السعال

(٢) الماذى الابيض من العسل

ولا يفوتنَّ المهدَى اليه، إذا حملتْ اليه هديةٌ بواسطة أحد الاتباع أن يتحفه، بعد تسلمهِ إياها منهُ، بشيء من المال. لأنه ماتقل خطوةً نحو بابه، إلا حدَّثه وَسواسه بقوىّ الآمال، فى إصابة هذا النوال.

٩ — من الخلق المحمود فى أولياء الأمور، قضاةً او حكاما، ان يسموا بكراماتهم الى حيث تأبى الدنايا، سواء أكان ذلك فى عهدو لا يتهم، أم حينَ تقلهم الى مناصبَ أخرى، لما فى قبولهم إياها من فتحِ ابواب التظنى فيهم، وسوء القالة. فقد يكون بعضُ من اشتركوا بالمال في اهدائها، فى حاجة الى انفاقه على أنفسهم أو بنيهم، فانتزعوه من افواههم، أو استدانوه بالربا الفاحش، لممالأة قرنائهم على تزلفهم وملقهم.

قال عليه الصلاة والسلام، فيمن يمدّون أيديهم الى الهدايا من الولاة: «مابالُ أقوامٍ استعملتهم على الصدقات فيجيء أحدهم فيقول — هذا مالكم وهذا أهدىَ الىّ... هلاّ جلس فى حفشِ أمه فينظر أيهدى اليه؟ والذى نفسى بيده، لا يأخذ أحدٌ منكم شيئا بغيرِ حقهِ إلا لقىَ الله بحمله،

فليأتينّ أحدكم وعلى رقبته بعيرٌ له رغاء، أو بقرةٌ لها خوارٌ، أو شاةٌ لها ثغاء » . ثم رفع يده وقال : « اللهم قد بلغت »

آداب التحية والتعارف

١ — اعتاد الناس فى مقابلاتهم ، أن يتبادلوا من العباراتِ والاشاراتِ ، مايشفّ عن شعائر الودّ والتسليم.

ويختلفُ السلام بحسب حال المسلم عليه ، فيفيدُ الاحترام له ، إذا كان شيخاً جليلا ، أو عالماً فاضلا ، أو رئيساً مطاعاً ، أو المودّة ، إذا كان من النظراءِ والانداد ، أو العطفَ والمجاملةَ ، إذا كان من المرءوسين .

٢ — تبادلُ السلام لايكونُ عادةً إلا بين المرتبطين بصلة المعرفة ، ولكن لاضيرَ من افشائهِ فى غيرهم ، لاسيما إذا كان موضعُ اللقاءِ معهم ، طرقاتِ الأريافِ ، والأماكنَ العاطلةَ من المارّةِ .

ومن المأثورِ عن فضلِ إفشاء السلامِ ، قولُ الملك

هنرى الرابع[١] : عجبي ممن يستغني عن النظافة ، وقطرات من الماء تطهره ، أو عن الأدب ، ورفعُ يدهِ بالتحية ينمّ على حسن تربيتهِ »

ومما ورد في وجوبِ السلامِ ، أنّ رجلاً جاءَ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في بيتهِ ، فقال : ألجُ ؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ لخادمهِ : اخرج الى هذا فعلمهُ السلامَ والاستئذانَ وقل لهُ يقول ، السلام عليكم أدخلُ ؟

٣ — المصافحةُ ، اصطلاحاً ، أن تأخذ بيمينك يمينَ من تصافحهُ ، ثم تتركها بعدَ هزّها هزّاً خفيفاً .

فمن الجهلِ باللائق أن تصافحَ بيسراكَ ، أو ان تستبقيَ في يدكَ طويلاً يد من تصافحهُ ، أو أن تنفضها نفضاً عنيفاً ، يكادُ يخلعها من المعصمِ .

ومن الاستخفافِ بالناس ، اقتصارُكَ في مصافحتهم ، على إعطائهم السبابةَ والوُسطى من أصابعِ يدكَ . فعلَ

---

(١) هنرى الرابع ملك جليل من ملوك فرنسا خلف هنرى الثالث سنة ١٥٨٩ ميلادية وقتل سنة ١٦١٠ كان ملكا شجاعا مهابا استخلص المملكة من أيدى الشيع والعصابات التى كانت اغتصبتها حيث دمر زعماءها وانصارها فى واقعتى أرك وأفرى واصدر المنشور الشهير بمنشور نانت الذى وضع به حدا للاضطهادات الدينية وأدخل الاصلاحات العميمة النفع فى بلاده

بعضِ المفتونين من المتفرنجين .

٤ — من مكارم الأخلاق أن يبادئ الكبيرُ الصغيرَ بالسلامِ ، إشعاراً بما فى نفسهِ نحوهُ من العطف عليه ، والرعاية له . وعلى الصغيرِ فى هذه الحالةِ ، أن يتهيأ لقبولِ هذه التحيةِ والرد عليها ، بما يناسبُ من الاحترامِ والتواضعِ ، وألا يتخذَ هذه الرعاية ، ذريعةً لطرحِ رداءِ الاحتشام .

كان لأمير رفيع القدرِ ، ملحوظِ المنزلةِ فى قومهِ ، يدٌ على رجلٍ خاملِ الجاهِ ، منحطّ الدرجةِ ، فرأى الرجل الأميرَ ذاتَ يوم ، فابتدرهُ بقولهِ ، من غير احتشام : عِم صباحاً أيها الصديق ، كيف حالك والحوادث ؟ فأجابه الأمير هازئا : بخير وعافية أيها الصديق الحميمُ . . ولكنْ هل تخبرنى ما اسمك ؟ فأدرك الرجلُ من هذا الجواب سوءَ أدبه ، فأخذَ سمتهُ فى طريقهِ صاغراً ، كاسفَ البالِ .

٥ — يحسنُ بالمهذّبِ ، إذا لاحَ لهُ صديقٌ مطلا من نافذةِ بيتهِ ، أو مشرفاً من احدى شرفاتهِ ، أو راكباً مركبة ، ألاّ يطرق معهُ بابَ الحديثِ ، بعدَ السلام

بالأُشارةِ عليه ، لأن محادثتهُ إياه تستدعى الوقوفَ فى الطريقِ ، أو الجرىَ فيه ، مع رفعِ الصوتِ .

٦ ـــ من حسنِ التنصلِ ولطفِ التخلص ، إذا رأى المرء فى الطريق امرأةً له بها قرابةٌ أو معرفةٌ ، أن يلتمسَ سبيلا غيرَ الذى تسيرُ فيه ، متكلفاً عدمَ رؤيتهِ لها ، فلا يضطرّ الى السلامِ عليها والوقوفِ معها ، ولا يستهدفُ نفسهُ لانتقادِ المارّةِ ، مالم يكن هناكَ باعثٌ خطيرٌ ، لامحيصَ معه من تبادلهما الخطابَ .

٧ ـــ إذا غشيت مجلساً فيه سيدةٌ افرنجية ، أو لقيت صديقاً افرنجيا تصحبهُ قرينتهُ ، فمن الآداب المألوفةِ ، ألا تبتدرَها بالمصافحة ، بل الزم مكانكَ ، فإذا مدّت اليكَ يدها فصافح ، وإلا فلا .

قالت البارونةُ ستافْ (١) فى تعليلِ هذه العادة ،

---

(١) البارونة ستاف سيدة فرنسية من فضليات النساء العارفات بآداب المعاشرة والمتضلعات من فن تدبير المنزل ولها فى ذلك مؤلفات عديدة منها كتاب « أدب المعاشرة والسلوك فى الهيئة الاجتماعية » وكتاب « ربة الدار وفن الاستقبال » وكتاب « التقاليد المطبخية وفن تناول الاطعمة على المائدة » وكتاب « غرفة الزينة والتجمل » وكتاب « المراسلة فى جميع المناسبات » وكتاب « السر فى جمالى ومحبة الناس لى » وكتاب « المرأة فى الاسرة » الخ ولقد لخصنا الكتابين الاخيرين بتصرف وتمصير الاول بعنوان « المرأة فى العين وفى القلب » وسنشرع فى طبعه قريبا والثانى بعنوان « المرأة وادوارها الثلاثة » وقد طبع طبعة أولى فى سنة ١٩٢٥

« إن البدء بالتحيةِ والحديثِ ، حقٌ من حقوق المرأةِ فى المجتمعاتِ ، فهى إذا ابتدرتْ رجلاً بالسلامِ ، فكأنما تقولُ له — لقد ألفيتكَ خليقاً بالمصافحةِ فصافحتكَ — »

فحافظْ إذن على هذا الأدب ، كلما زجت بك ضرورةُ المعاشرةِ ، فى حضرةِ سيدة افرنجية .

٨ — إذا اجتمعتَ بمن لم تعرفهُ فى مجلسٍ أو طريق ، وكان هناك مايدعو الى مخاطبتهِ ، فتوسل قبلَ مجاذبتكَ إياهُ الحديثَ ، بمن يقدمك اليه ويعرّفكَ به ، أو عرّفهُ أنت بنفسك ، بعبارة تشفّ عن تربيةٍ عالية وأدبٍ جمّ ، ثم اسرد له ماحملكَ على التعرف به . قال الحسنُ فيمن يجالس غيرهُ على جهل بأمره : « مجالسة الرجل من غير أن يسألَ عن اسمه ، مجالسةُ النوكى » . فكأنهُ رضى الله عنه ، اعتبر المتجالسين بلا تعارُفٍ ، كالحمقى ، إذا خلا بعضهم الى بعض .

٩ — إذا دعيتَ الى تعريف الناس بعضهم ببعضٍ ، فلا تجب إلا إذا أيقنتَ أنّ إجابتكَ تسدّ حاجة ماسة . ولاتجرّ اليك أذى .

وتوقَّ ما استطعت التعريفَ بينَ الناس في الطريق . فقد لا يستحسنُ المعرّف والمعرّف به كلاهما هذا الفعلَ ، فينظران اليك بعين الاستياء والاستخفاف .

١٥ — لا يليقُ بحالٍ من الأحوال ، تعريف السيدات بالرجال ، ولا تقديمهن اليهم ، مهما تكن منزلة كلّ فريق منهما وعمرُه . ولا يتفقُ مع الأدب ، تعريفُ الأصغر سنا أو الأدنى مقاماً بمن فوقه فيهما ، ولا الفتاة بالسيدةِ ، وانما الملائمُ عكسُ ذلك كله : أى يعرفُ الأعلى بالأدنى ، والاكبرُ بالأصغرِ .

آداب المرافقة في الطريق

١ — إذا رأيت انساناً يسيرُ فى الطريق ، لا متسرعاً ولا متمهلاً ، ولا متصلباً ولا مسترخياً ، ولا ملتفتاً تارة الى اليمين ، وطوراً الى اليسار ، فذلك هو الذى ينبغى لك الاقتداءُ به ، لأنه منتظمٌ فى مشيتهِ ، والمنتظمُ فى مشيته يلقى فى نفس الناظر اليه احترامهُ ، ويصلُ الى مقصده

آمناً فى الزمن اليسير .

٢ — إذا اتخذت رفيقاً لكَ فى الطريق ، فليس لأحدكما على الآخر بالنسبة لموضعه منه ، فضلٌ ولا ميزة ، مادمتما متساويين قدراً أو لا كلفة بينكما.

فإذا كان بينكما فارقٌ ، أساسهُ العلمُ ، أو السنّ ، أو الجاهُ ، فمن كمال التربيةِ ، أن يتنحى المفضولُ فى ذلك للفاضل ، عن الموضع الذى يعرِفُ أن فيه راحتهُ .

ولقد كانت تلك شمائلُ الخلفاء من الدولة العباسية ، على مايؤخذُ من رواية يحيي بن أكثم . قال : « ماشيت المأمونَ يوما فى بستان ، فكنتُ من الجانبِ الذى يسترُه من الشمس . فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع ، أردتُ أن أدور الى الجانب الذى يسترُهُ منها . فقال : لاتفعل ، وكن بحالك حتى أسترَكَ كما سترتنى. فقلت :ياأمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقيكَ حرّ النار لفعلتُ ، فكيف الشمس ؟ فقال : ليس هذا من كرَمِ الصحبة . ومشى ساتراً لى من الشمس كما سترتهُ »

٣ — عوّد نفسك ملازمةَ الجانب الأيمن من

الطريق فى ذهابك ، والجانبِ الايسرِ منهُ فى مجيئك ، ولا تسلك مسلك الدوابّ والمركبات ، إلا اجتيازاً لعرض الطريق . وليس لامرأة ، أن تتبختر وسط الطريق ، بل عليها أن تمشىَ فى جانبه . جاء فى حديث شريف « ليس للنساء من سرَواتِ [1] الطريق وانما لهنّ جوانبه »

ويتحتم عليها اذا سارت فيه ، ألا تسطع منها روائح الادهان ولا ان تبدى شيئا من زينتها ، صونا لكرامتها ووقايةً لها من الاوغاد والعاطلين .

٤ — إذاشهدتَ عابرَ سبيلٍ من الشيوخ ، أو أصحاب المقاماتِ ، فخلّ له عن الطريق ، عرفتهُ أم لم تعرفهُ ، واجعل نفسكَ وقايةً لهُ ، مما عسى أن يقع من خطرِ الزحام .

وإذا كنتَ على وشكِ المرور مع غيرك ، من مضيق أو مزدحم ، فتخلفْ حتى تمكن من المرور من هم أكبرُ منك سناً ، وأعلا قدراً . وعليهم ألا يغفلوا السلامَ عليك ، والشكر لك اعترافاً منهم بأدبكَ .

وإذا تزاحمَ الناسُ فى مثل هذا المكان ، فلا تدافعهم بالمناكب التماسَ المرورِ ، ما لم يكن عندكَ من البواعثِ

(١) سروات الطريق متنه أى وسطه

مايدعوكَ الى ذلك .

٥ — إذا كنتَ تحملُ هراوةً أو مظلة ، فحاذرْ كل الحذرِ أن تتأبطها ، فأنكَ إذا تحركتَ وهى بهذا الوضعِ ، فأصابت بطرفها عينَ مارّ أو جالسٍ ، تعرّضْ نفسكَ لحكمِ القضاء عليكَ .

واحذر أن تعترضَ الطريق ، متأبطاً واحدة منهما ، فتعطلُ المرورَ فيه .

٦ — إذا اضطررتَ الى المرور ، على قنطرةٍ من الخشب فوقَ تُرعةٍ ، فلا تزاحمْ غيركَ حتى يسهل المرور لك . وإذا كان بين المارّة شيخ طاعنٌ فى السن ، أو امرأةٌ ، فساعدهما على المرور مترفقاً بهما .

٧ — إذ رُمتَ الاهتداء الى الطريق ، أو الاستدلال على عنوان أحدٍ ، فتلطف في سؤال من تستفهمُ منه ، كأن تقول لهُ : « من فضلك اهدنى السبيل » أو « هل لك أن ترشدنى الى مكان فلان ؟ » الخ .

والأولى بمن يريدُ الاسترشاد ، أن يواجهَ أرباب الحوانيت الصغيرة ، فإنهم أعرفُ الناس بالأشخاص

والأشياء، في الجهة التى يبحثُ فيها . فإذا أجابوه على سؤالهِ ، وجبَ عليهِ أن يشكرَ لهم حسن صنيعهم معهُ .

٨ — إذا التقيتَ فى الطريقِ بصديقٍ لك ، فابدأهُ بالسلامِ ، ثم سلهُ عن صحتهِ وأحوالهِ . وإنما لا يكونُ ذلكَ إلاّ إذا دانيتهُ ، حتى لا يسمع أحدالمارّة ما يدورُ بينكما من الحديث .

٩ — إذا التقى الرفيقان فى الطريق ، بصديق لأحدهما ، وكان هناكَ مايدعو الى كلامِ أحدهما معه ، فعلى الذى يعرِفه منهما ، أن يستأذنَ رفيقهُ الاول فى محادثته ، وعلى هذا الرفيقِ أن ينتحى مكانا بعيداً عنهما ، ليفسح لهما فى الكلام ، كما على طالب الأذن أن يختصر الحديث ، حتى لا يملّ رفيقهُ الانفراد .

١٠ — من أمارات الكبرياء ، ومظاهر الأعجاب بالذّات ، أن يمشى الأنسانُ فى الطريق مشيةَ المختال الفخور ، واضعاً يديه فى جيوب ملابسه ، أو معلقاً إياهما بالابهامين فى الأجزاء العليا منها .

فاحذر إذن الاقتداء بذلك المختال ، الذى يرى فى

ذاته أنه أكبرُ الناس قدراً، وأعظمهم خطراً، بينما يرى الناسُ فيه أنه أحطهم شأنا، وأخملهم ذكراً.

١١ - يعرّض بعض الناسِ أنفسهم للهوان. والحكم عليهم بسقوط الهمة، لجلوسهم أمامَ منازلهم، في الزيّ الذى لا يليق إلا فى مخدع النوم.

فاجتنب إذن خطر الوقوع تحت طائلة هذا الحكم. واحذر ما استطعت الجلوس على أبواب حوانيت التجار، فأنهم لا يروق لهم أن تسدّ فى وجوههم سبل الارتزاق، بوقوفك عقبةً فى طريق المشترين.

١٢ — كفى المرء دليلاً على خسةِ نفسه، وسقوط همته، وحسبهُ من الجمهور استخفافاً به، وحطا من قدره، أن يتتبع خطواتِ النساء المارّات فى الطريق، لمغازلتهن أو رميهنّ بألفاظ البذاءة والفحش.

وخليقٌ بهاته النساء، مادُمنَ حريصاتٍ على فروض الأدب والحشمة فى الطريق، أن يعاملن المتعرّض لهن بالشدة والقسوة. وذلك بتنبيه أحد رجال الحفظ، أو أصحاب المروءةِ والشهامة، الى القبضِ عليه، وسوقهِ الى

حيثُ يلقى جزاء وقاحته ، وسفالَ أخلاقه .

آداب السفر والانتقال

١ — حضّ القرآن الشريف، والسنة النبوية، وحثّ الحكماء والعقلاء، على الرحلة من دار الأقامة ، الى غيرها من الديار ، ليزداد الفكر تنورًا ، والعقل تبصرًا ، بالنظر والتجربة .

قال تعالى : « ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها » ، « أوَلم يسيروا فى الارض » ، « قل سيروا فى الأرض » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا ، فإن لم تغنموا مالا أفدتم علماً » . وقال الشاعر :

وإن مقام المرء في الحىّ مخلقٌ
لديباجتيهِ فاغترب تتجدّد
ألم ترَ أن الشمسَ زيدت محبة
الى الناس أنْ ليست عليهم بسرمد ؟

٢ — إذا أخذت للسفر عدّتك ، فمن الأدب أن

نودع الذين لك بهم صلة معرفة أو قرابة ، وأن تسألهم عما يكونون فى حاجةٍ الى قضائه من البلد الذى تقصدُه ، وعليهم ألا يتوسلوا بهذا الأدب ، الى التكليف بما تثقلُ مؤونته .

وخليقٌ بهم فى هذه الحالة ، أن يسألوه عن ميقات سفرهِ ، ليودعوهُ ويشيعوه ، ويتمنوا له التوفيقَ والخير فى رحلته .

٣ – إذا كانَ السفر على الدوابّ يحسن بالمسافرِ أن يحافظَ على مودةِ رفاقهِ ، ويستميلَ اليه قلوبهم ، ويستشيرَهم فيما يبهم عليه من الرأى ، ويقومَ على المرضى منهم بالرعايةِ والعناية ، ويجهدَ لهم رأيه إذا استشاروه ، ويتفقَ معهم إذا أضلوا الطريقَ .

وبالجملةِ يكون وإياهم يداً واحدةً على الوصول ، في أمنٍ وسلامٍ ، الى الجهةِ التى يقصدونها .

٤ – إذا امتطيتَ جواداً فى صحبةِ من تحتشمه ، فمن حلاوةِ الشمائلِ ، أن تجعلَ عنايتكَ براحتهِ ، أكثرَ من عنايتهِ براحتكَ ، وأن تكونَ معه فى أدب المسايرةِ ،

كنديم الوليد(١) الذى قال هذا الخليفةُ فيه : « لقد صحبتُه منذُ دخلتُ العراق : فما حكّ ركابُه ركابى ، ولا تقدّمنى فنظرتُ الى قفاهُ ، ولا تأخرَ عنى فلويتُ لهُ عنق ، ولا حجب عنى الشمس فى شتاء قطّ ، ولا الروح (٢) فى صيف قطّ » .

٥ – إذا كان فى الطريقِ مخاضةٌ أومستنقعٌ ورأيت ، تأدباً منك ، أن تتقدم رفيقك ، فحاذر أن يطير رشاش الماء أو الطين من حوافر جوادك ، فيصيبُ وجهه أو ثيابه . ولا تداعب جوادك أمامه ، مالم تكن له فى ذلك رغبةٌ .

٦ – يجمل بأدبك ، إذا كان الانتقال فى مركبة حافلة التنحى عن خير الامكنة فيها للأرفع مقاماً ، والأوجب احتراما .

---

(١) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان سادس الخلفاء من بني أمية ولد (سنة ٥٠ هجرية ــ ٦٧٠ ميلادية) وبويع له بالخلافة (سنة ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م) وتوفى (سنة ٩٦ هـ ــ ٧١٤ م) ودفن بدمشق . كان كثير اللحن إلا أنه كان شديد السطوة جم المروءة غزير العقل . وهو الذى بنى مسجد المدينة والجامع الأموى وفتحت فى أيامه بلاد الهند والسند والاندلس . وبلغت به الشفقة ان خصص لكل أعمى قائدا ولكل مقعد خادما وهو أول من اتخذ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة للغرباء

(٢) الروح نسيم الريح

وخيرُها مايامن الكرسيّ المؤخرَ ، ويتلوه ما ياسره ، فالذى يسامته من الكرسيّ المقدّم ، فالذى يقابل الأول منه . ثم مابين الاثنين الأولين ، فما بين الاثنين الآخرين .

٧ ـ وإذا كان الانتقال فى المركبات العمومية ، التى يشترك فيها أفراد الشعب ، فيكون الجلوس بحسب ورود الراكبين : ولكن يجدُر بالفتى المهذّب ، إذا كان فى المحلّ الأصلح ، أن يتنحى عنه للشيخ الكبير ، أو المرأة ، أو صاحب المقام الجليل ، من أهل العلم والفضل .

والواجب على هؤلاء ، إذا قبلوا الجلوسَ فى هذا المحلّ ، أن يشكروا لذلك الفتى أدبه ومعروفه .

٨ ـ من الأدب ، إذا كانت المركباتُ كثيرةَ النوافذ والابواب ، ألا يكون فتحها أو اغلاقها ، إلا بعد الاذن من المسافرين .

وقد يتفق كثيراً ، لبعد الشقة وطول المسافة ، أن يصطحب المسافر معه غذاء خفيفاً ، فمن كرم الشيم ، متى شرع فى الأكل ، أن يدعوَ اليه الجالسين معه .

والواجب عليهم ، أن يجيئوا بخير الأعذار ، فى عدم

مشاركته في ذلك الغذاء .

٩ يحسنُ بالمسافر سفراً بعيدَ الشقة ، أو طويلَ الأمد ، أن يزورَ اقرباءه واصدقاءه مخبراً اياهم بسفرهِ فى اليوم الفلانىّ . فإن لم يجدهم ترك لهم بطاقةَ زيارةٍ (كارت دى فيزيت) يستأذنهم بها فى السفر ، وحسبه فى ذلك ان يكتبَ كلمةَ « للاستئذان » فى أحد اركانها .

١٠ – خليقٌ بذى الذوقِ السليم ، اذا جهزَ متاعه للسفر ، أن يحكم حزْمه فى الحقائبِ المعدّة له ، وأن يراعىَ النظافةَ وحسنَ الترتيب فى وضعها على الرفارف ، وان يحرصَ على هذه العناية حتى لاينفتحَ بعضها لرداءة حزمه ، فتتدلى الامتعةُ منه كاللسانِ بين الشفتين ، فيعرّض نفسهُ بذلك الى همزاتِ المسافرين .

١١ – لاتطغَ ، اذا جلست فى موضعك من مقاعد المركبة ، على موضع جارك الجالسِ منكَ يمنةً او يسرةً ، ولاتشغل بمتاعك كلّ الرفارف ، بل مايعدل منها حصتك من المقاعد ، فإذا كانت هذه لستةِ مسافرين فاحرص على ألا يكون لمتاعك سوى السدس فقط من الرفارف .

١٢ — من اقبح مظاهر الانانية وحب الأثرة، اذا سبقتَ غيرك من المسافرين الى غشيان احدى حجراتِ المركبةِ، ألا تبعثرَ أشياءك على مقاعدها، فتضع قمطرَ أوراقك فى مكانٍ، ومعطفك أو قلنسوتك في آخر، تريدُ بذلك إيهامَ من يأتون بعدك، أن هذه المواضعَ قد سبقهم غيرُهم الى شغلها، حتى إذا انصرفوا مخدوعين بهذا الكذب وتحرك القطارُ، جمع شتاتَ تلك الاشياء، وضمن لنفسه بهذه الحيلة الدنيئة، الاستئثارَ لنفسه بما هو حقٌّ لكثيرين غيره.

١٣ — اذا داعب النعاسُ أجفانك فى أثناء السفرِ، فليس لك أن تتمطى على بقية المقاعدِ التى من ناحيتك، حتى ولو لم يكن هناك من يشغلها، بل حتى ولو لم يكن فى الحجرة أحدٌ غيرُك، فكيف بك لو كان معك واحدٌ أو اكثر من المسافرين؟ والأخلق بالمتأدب، اذا أخذه النعاس فى السفر، أن يلقىَ برأسهِ الى المسند الذى خلفه، ثم يستسلمُ للنومِ، فى وضعٍ كأنه يلتمسُ الراحةَ لاعضائه.

واذا كان التمطى للنوم، ينمّ على قسطٍ كبيرٍ من سوء الأدبِ وفسادِ الطبع، فليس تمديدُ الفخذين واسنادهما

بالقدمين الى المقعد المقابل له ، اضعفَ دلالةً عليهما وعلى نصيبٍ وافٍ من السماجة والقحة .

١٤ — ليس لمسافرٍ أن يبدأ الجالسين بالكلام فى شأنٍ ما ، اللهم أن يكون سؤالا عن أمورٍ عادية ، كالاستفهام عن الوقت ، أو عن اسم المحطة التالية ، أو عن المسافة الباقية من الطريق الخ . والواجب أن يكونَ السؤالُ بالرفق والأدب .

وإذا جاذبهم الحديث فى أحوال بيته ، أو اعماله الخاصة ، فليس من الفطنة والكمال ، أن يتعدّاه الى افشاء الاسرار .

١٥ — ألا يثقلُ على سمعك ، ويستثيرُ غيظك فى أثناء السفر ، أن تسمع مسافراً يطيل الشكوى لمجاوريه ، من طول الطريق ، وسوء حالته ، وعدم توافر الراحة فيه ؟ أو أن تراه يثير الخلاف بينه وبين أحد القائمين بأعمال الطريق ، بما يمكن أن تكون نتيجته التعطيل ؟ إذا كنت تكره أن يتبع غيرك هذه الخطة معك ، فحاذر من اتباعها نحو غيرك .

١٦ — يقتضى نزولُ الفنادق الأخذَ بالحيطة ، فلا تطلق إذن العنان لنفسك فيما تحبه ، بوهمٍ أنك فى الفندق كما لو كنت فى بيتك .

ولا يبرحْ عن بالك ، أنك بين أناسٍ يجهلون عاداتك ، كما تجهل أنت طباعهم وأخلاقهم ، وينتظرون منك أن تكونَ على خلقٍ حسن ، وعادات رضية ، وآداب تشكر عليها .

١٧ — لا تعجلْ برفع الكلفةِ بينك وبين خدم الفنادق القائمين بخدمتك ، بل كن معهم على مايقتضيه الوقار ، وتطلبهُ الحشمة ، ولكن لايخليكَ هذا من وجوب محاسنتهم ، والاحسان اليهم .

١٨ — إذا عدت بسلامةِ الله من سفرك . وردك الله الى أهلك ردّاً حسناً . فبادرْ بزيارةِ أقربائك وأصدقائك ، لاسيما أولئك الذين عهدوا اليك بقضاء حاجاتهم ،لتنهىَ اليهم نتيجةَ ما كلفوكَ إياه .

وعلى هؤلاء بعدَ ذلك زيارتك ، ليشكروا لك حسنَ صنيعكَ

آداب الجمعيات والمتنزهات والملاهى

١ - ينبغى أن يكونَ أساس الاجتماع ، فى جمعيات الاصدقاء والاقارب ، التحلى بالفضائل، وأخصها الاستقامةُ وقصدُ الخير . وكل جمعية ينافي غرضها ذلك ، يجبُ البعدُ عنها والفرار منها .

٢ - إذا كنتَ فى نزهـةٍ مع صحبك ، فلا تخالفْ مااستطعت ميولهم ، ولاتظهر الملَلَ ولا التأفف مما يجمعون على استحسانه ، إذا عنّ لك مايحملك على مخالفتهم .

ومن الأدب وحسن الرعاية ، أن يقيسَ أصغرُكم سنا وأكثركم نشاطاً ، خطواته على خطواتِ الشيوخ ، والناقهين ، وأصحاب العاهات منهم . قال الشاعر :

فسيروا على سيرى فأنى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ظالع (١)

٣ - أشرف المحالّ للسائرين جماعةً الوسطُ ، ويليه مايامنه ثم ما ياسره . وما يامنَ الأول ، ثم ما ياسرَ الثانى .

---

(١) الظلع غمز في المشية شبيه بالعرج أو هو العرج اليسير

وإذا قضت ضرورة السير، بأن يدورَ الأنسان على كعبه، فليتجنب فى أثناء ذلك أن يولىَ ظهرَه رفاقه.

٤ — اذا كان الرجل يماشى امرأةً من أهله، فليجعلها أقربَ منه الى جانب الطريق، وليتكفلْ بحمل مابيدها من الأثقال.

٥ — اغتنمْ مايسنحُ لك من الفرَص لتتخذَ لك يداً عند رفاقك. وخليقٌ بأصغر القوم سناً، أن يؤدى هذا الواجبَ نحو الشيوخ، وذوى المكانة العالية والفضل.

٦ — إذا عرَضتْ، فى جمعية ما، ضرورةٌ للعزف بالآلات الموسيقية، فلتكن الأدوار التى تقوم بأدائها، أقربَ الى أنواع الحماس والجدّ منها الى المجون.

وإذا رجا منك أعضاء الجمعية التى تضمك، أن تعزف بتلك الآلات، لعلمهم ببراعتكَ فيها، فلا تتجنّ عليهم بما يدعوهم الى التمادى فى الرجاء منك، بل بادرْ باجابة الطلب، لاسيما إذا علمتَ أن فى الأجابة ما يسرّ أفئدتهم، ويشرح صدورهم.

وإذا كان بينهم، من هو أقلّ اتقانا منك لفنون

الموسيقى ، فحاذرْ أن تدعوَ نفسك الى العزف ، التماسَ المباهاة والتفوّق عليه أمامهم .

٧ – إذا غنى غيرُك ، أو عزَف بالموسيقى ، فلاتهوّش عليه بنقرات الأيدى ، ودبّات الأرض ، وزناً للايقاع . ولاتأخذ عليه فى دفتر الغناء ، نقطَ [1] الأيقاع ، كمن يتتبع أثر غيره ، ليقفَ منه على سقطاته .

٨ – حاذرْ إذا غنيتَ ، أن تقرن صوتك بإشارات الممثلين على مسارح التمثيل . لأن الحركاتِ فى الغناء ، تذهب بتأثير ألحانه فى نفس السامع ، لاسيما إذا كان فيها مايشذ عن المألوف ، ويدعو الى سخرية السامعين .

٩ – العقل فى حاجةٍ الى التعلة باللهـو واللعب ، المشترط فيهما الاعتدال ، والبعدُ عن المحظورات ، ولكن لايجب ، على كل حالٍ ، الاسترسال فيهما بحيث يستغرقان أوقات الفراغ كلها ، وإلا أفضيا الى الملل والسآمة ، أو صارا داء يستعصى علاجه .

---

(١) رأى بعض الباحثين فى أصول الالفاظ أن العلامات الموسيقية المسماة بالنوت أو النوتة كانت موجودة في الموسيقى العربية القديمة وكان يعبر عنها بالنقط . وأن الافرنج أخذوا هـذا اللفظ ضمن ماأخذوا من اصطلاحات الموسيقى فصارت نوت note بتواتر الاستعمال وتحريف اللسان

والواجبُ على كل شابّ عاقلٍ، أن يتقى الألعاب التي يحظرها الذوقُ والقانون ، والتى يخشى منها الخطرُ على الأخلاق والثروةِ .

١٠ — حاذرْ كل الحذَرِ ، التردّدَ على مجتمعاتِ لعبِ القمار ، ومشاركةَ اللاعبينَ فى لعبهم ، فأن اللهوَ الذى يكون أساسه انتقالَ المال من يد مالكه ، الى يد غيره بالحظّ والجزاف ، لايلبث أن يكونَ سببَ الشقاء والخراب ، للخاسر والرابح سواء . بل كثيراً مايكون الندمُ على الكسب ، أشدّ فى الاغراء بمتابعة اللعب . وربّ رابح في ساعةٍ ، خاسراً فى غيرها أضعاف ماربح .

يروى عن لويس التاسع ملك فرنسا [١] ، أنه كانت تأخذه الرّعدة اذا ذكر لفظ القمار فى مجاسه

وقال الحكيم الاخلاقى لابروبير [٢] : « ما وجدت

(١) هو المعروف بالقديس لويس . ولد سنة ١٢٢٦ وتوفى سنة ١٢٧٠ للميلاد ، قصد مصر لفتحها فى جيش جرار سنة ١٢٤٩ ومحاربتها حربا صليبية فأسره المسلمون واعتقلوه فى المنصورة . وفي سنة ١٢٧٠ شرع في محاربة أهل تونس فات بها في العام نفسه . وكان مشهورا بالفضائل وحسن التدبير وأسس مدرسة السوربون المعروفة بباريس

(٢) هو جان دولابروبير من أكبر الحكماء الخلقيين فى القرن السابع عشر ولد سنة ١٦٤٥ وتوفى سنة ١٦٩١ وله كتاب عنوانه الطباع والاخلاق

جماعةً من الناس، غشيت وجوههم قترَةُ الهموم والأحزان كجماعةِ المقامرين، قومٌ جلسوا بعضهم تجاه بعض، كالتماثيل الجامدة أو كالخشب المسندَةِ، يتراشقون بألحاظِ العداوة التي تنكرُ الصلحَ، والحرب التي لا تعرف الهدنةَ، ويجتمعون بأجسامهم، وقلوبهم شتى، ولا يؤمنونَ بإلهٍ سوى الجزاف والمصادفةِ العمياء»

١١ – أحسنُ الملاهي، ماجمعَ الى رياضة البدنِ ترْفيهَ العقل، وترويح النفس، كلعبِ الكرةِ بأصنافه، على شرط قصرِ مدة اللعب، والاعتدال فيه.

والآداب الملائمةُ للملاهي، هي عينُ الآداب العامة المطلوبةِ من الناس في اختلاطهم بعضهم ببعضٍ، فكونُ الأنسان يلعبُ، لايخليه من تبعة مخالفتهِ لقانون الأدب.

١٢ – من المحظورات التي يحسن اتقاؤها في أثناء التمثيل، أن يحضرَ بعض المتفرجين بعد الميعاد المضروب، فيحدثوا عند دخولهم جلبةً تؤذي السمع، وتلفتُ النظرَ، وأن ينظرَ المتفرجون والمتفرجات، بعضهم بعضا، بالنظارات. لأن استعمالَ النظارات لايكون إلا للتمكن

من رؤيةِ مناظر التمثيل ، لا من رؤيتهم ، وأن يصيحوا أو يصفروا احتقاراً للممثلين وتشهيراً بهم ، إذا لم يحسنوا أداء أدوارهم . لأن الأدبَ والمجاملةَ يتطلبان منهم فى هذه الحالة ، إما السكوت ، وإما مبارحة الملهى ، وأن يتكلموا ، أو يأكلوا ، أو يدخنوا ، أو يزوروا بعضهم بعضاً فى أثناء التمثيل .

آداب الزيارة

١ – فطرَ الناس ، منذ الخليقة ، على حبّ التزاورِ ، لأن التزاورَ ركنٌ من أركان الاجتماع ، تتوثقُ به المودةُ . وله قواعدُ وآدابٌ ، تختلف بحسبِ المناسبات . فإذا كان بين الانداد ، فلا كلفةَ فيه فى الأيام المعتادة . ولكنه يتحتم فى المواسم والاعياد . وتختلفُ أيضاً باختلاف الزمان والمكان ، فلا تجوز الزيارة مثلاً فى مواعيدِ الطعام وأوقاتِ الراحة ، ولا فى غير بيت المزور .

٢ – المدة المناسبة للزيارة ، بعض الساعةِ . ولايجوز الاكثار منها فى أيام متقاربة ، وإلا كانت داعيةَ المللِ .

ألم ترَ أنك إذا أقللتَ الزيارة، سأل عنك أصدقاؤك،
وتمنوا لقاءك ؟

إني كثرتُ عليه في زيارته فملّ والشيء مملولٌ إذا كثرا

٣ — التزاورُ بين الأقاربِ والاصدقاء، لايدخل تحت القيودِ والتكاليفِ، فلا تناوبَ هناك فيه، ولا محاسبةَ عليه. وإذا لم يجدْ الزائرُ المزور، فعليه أن يكلفَ الخادم أو غيره من مساكنيه، بأبلاغ خبر زيارته لمولاهُ، وإلا ترك بطاقةَ زيارته (١) إشعاراً له بمجيئه

٤ — إذا كان المزور وزيراً أو ذا شأنٍ خطير، وكانت الزيارةُ فى صالحٍ للزائر، وجبَ على هذا الاخيرِ ألا يطيلَ المكثَ بين يديه، بأن يوجزَ مع الأفادة فى بيان مايرجو، ليكون كلامه أوقعَ فى النفس، وطلبه أقربَ الى الأجابة

٥ ـ لايناسب قطعاً أن تزورَ أحداً، وأنت فى دور الابلال من مرضكَ، ومادامتْ علاماتُ المرض مرسومةً على وجهك وجسمك، مالم يضطرّك الى ذلك

---

(١) بمعنى رقعة الزيارة المعروفة باسم كارت دى فيزيت

عملٌ هامّ لا يتيسر انجازه فى غيابك .

٦ — إذا قصدَ جماعةٌ زيارةَ أحدٍ ، فلا يحسن أن يزيدَ عددُهم على الثلاثة ، ولا يصحبنّ الزائر ابنه ، أو شخصاً غيرَ معروفٍ للمزور ، إلا بأذن سابق منه . لأنه إذا بدا من هذا الغريب ، مايوجب اللومَ والمؤاخذة ، وقعتْ تبعة فعله عليك ، لأنك كنت السبب فى التعارف .

٧ إذا جئت الى دار المزور ، فلا تدقّ الباب دقاً مزعجاً متداركاً ، ولا تطلْ قرعَ الجرَس ، بل انتظر ريثما يحضر من يفتحه لك .

٨ — إذا سألتَ الخادم عن سيده ، أموجودٌ هو فى البيت ، وكان الجواب سلباً ، فليس لك أن تلحّ فى السؤال ، تحقيقاً لصدق غيابه ، ولو ثبتَ لك وجودُه فيه ، كأن تكون لمحته أو سمعتَ صوته .

والواجبُ أن تنصرف مقتنعاً بأول ماقيلَ لك . فقد يكون التنكرُ لعذرٍ شرعىّ منعه من لقائك .

وإذا علمتَ بوجوده ، وتبين لك أنه مريضٌ ، أو على مائدة الطعام ، فبادرْ بالانصراف بلا كلام .

٩ – إذا أدخلك الخادمُ فى غرفةِ الاستقبال ، وكان المزورُ فى غرفةٍ ملاصقةٍ لها ، فليس لك أن تفاجئه بالانسياب فيها ، قبل أن يصلَ اليك الأذنُ منه على لسان الخادم . واذا طال عليك الانتظارُ فى وصول هذا الاذن ، وكان عندك مايدعوك الى الانصرافِ ، فلك أن تنصرفَ بعد ان تترك وريقة زيارتك ، مبيناً فيها سبب تعجلك ، وينبغى أن يكون السبب عذراً بيناً .

١٠ — ليس من الأدب التغنى ، ولو بصوتٍ منخفضٍ ، فى أثناء انتظار المزور ، ولا لمسُ التحف والاشياء المنسقةِ فى غرفة الانتظار ، ولا الأطلالُ من نافذاتها ،

وغاية مايجوز لك فى وَحدتك ، التلهى بالنظر من بعدٍ ، الى هذه الاشياء .

١١ — يجب حتما على الزائر تركُ مظلته وهراوته (١) عند الباب . على أنه إذا كان المزورُ من النظراء والأنداد ، يجوزُ استبقاء الهراوة ، على شرط ألا يفحصَ بطرفها الأرض ، كأن من ورائها سرًّا يروم استقصاءه .

---

(١) الهراوة العصا

ومن القذَر وسوء الأدب ، البصق على الأرض والبسط .

١٢ — إذا أدخلَ الزائر غرفةَ الاستقبال ، وكان قد سبقهُ اليها جملةٌ من الزائرين ، فالواجب عليه ، بعد ابتدار صاحب الدار بالتحية ، أن يجلس فى المكان الذى يعينه هذا له .

قال العرب : « إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله » ، على أن للزائر أن يجلس فى المكان الخالى، حتى لا يكلفَ المزورَ مؤونةَ الاهتمام به .

١٣ — إذا كان المزور الذى دخلتَ عليه ، من ذوى الشأن ، فلتكن تحيتك له بالأدب والاحترام ، واحذر أن تستفسرَ منه عن صحته ، أو تستفهم عن حالته ، أو تدَعه يهتمّ باجلاسك .

وإذا بدتْ منه حركةٌ يريدُ بها تقديم كرسىّ لك ، تواضعاً منه وإكراما لك ، فهرْولْ أنت الى أخذه .

ولا تختَرْ لنفسك أحسن المجالس ، ولا أجمل الكراسى وأفخرها .

١٤ — إذا شعرت أن مزورك على أهبة تناوُل الطعام ، أو على وشكِ الخروج من داره ، أو على عجلٍ فى أمرٍ يخصه ، فلا تتلكأ فى الانصراف ، ولو دعاه ذوقه وأدبه الى استبقائك .

١٥ — إذا كنت فى زيارة أحدٍ وطرأ زائرٌ آخرُ ، فلك أن تستأذنَ منه وتنصرف ، بعد أن يستقرّ الزائر ، وتحصلَ الحفاوة به . لأن تعجيلك بالانصرف ، يدعو الى التأويل بأنك لاتريد الاجتماع به .

١٦ — اجتنبْ فى زيارتك ترديدَ التحيات ، وتكرير إشارات الاحترام ، بل اكتفِ بتحيةٍ واحدة عند اللقاء ، وبمثلها عند الانصراف .

١٧ — لايليق قطعاً بالمزور أنْ يستقبلَ زائره ، وهو فى لِبسة المتفضل (١) . وإذا طرأ زائر وأنت تلبس ثيابك ، فلا تبطىء عليه حتى لايملّ الانتظار .

١٨ — استقبالُ الزائر لايكونُ فى مخدع النوم ، ولا فى غرفة الطعام ، بل في المكان المعدّ لذلك ، والذى

(١) لبسة المتفضل هى لباس النوم

ينبغي أنْ يعتني بتنظيفهِ وتنسيقه، وإن لم يكنْ مفروشاً بالرياش الفاخر . وإذا لم تكنْ في البيت غرفةٌ خاصة بالاستقبال ، فلا بأس من لقاء الزائر في أنسب الأمكنة.

١٩ـ لا حرَجَ على الطبيب في عيادته ، ولا على المحامي في مكتبه ، ولا على أرباب الأعمال في محالّ عملهم ، إذا لم يشيعوا زائريهم أو عملاءهم ، إلا الى باب الغرفة التي حصلتْ الزيارة فيها . لأن صاحب العمل أولى بالوقت الذي يصرفهُ في تشييع الزائرين ، فيما يلي ذلك الباب .

٢٠ ـ إذا عرَض سفرٌ طويل على المرء ، فقد وجبتْ عليه زيارةُ أخصائه ودائنيه لودَاعهم ، وإخبارهم بقرب رحيله.

وإذا عاد بالسلامة من سفره ، فليبدأهم بالزيارة ، إخطاراً لهم بعودته .

ويليقُ بهم ، في الحالة الأولى ، تشييعهُ الى محطة السفر ، وفي الحالة الثانية ، المبادرة بردّ زيارته لأداء تحية العودة .

٢١ ـ إذا تخلف صديقكَ عن زيارتك ، على غير

عادته ، فبادرْ بالسؤال عنه ، لتتبينَ سببَ هذا التخلف ، وتستوثقَ من أمره ، وإلا أفضى اغفالك السؤالَ ، الى التقاطع الذى هو ضد التزاور .

٢٢ــ تجنبْ ما استطعت ، أن تجعلَ زيارتك للمزور فى محلّ شغله . لأنها إذا لم تكنْ داعيةَ عطله ، فقد تعرّضه للمؤاخذة من رئيسه .

وكذا لايكون التزاور ليلاً ، إلا بين الاصدقاء والاقارب ، الذين ألفوا هذه العادة .

آداب بطاقات الزيارة

(الكارت دى فيزيت)

١ ــ بطاقاتُ الزيارة قطعٌ مستطيلة الشكل من الورَق المقوّى ، يكتبُ المرء عليها بخطه ، أو بحروف المطبعة ، اسمه ولقبه ، ورتبته ، ووظيفته ، أو محل إقامته .

وينبغى أن يكونَ الخطّ واضحاً ، لايلتبسُ مدلوله على القارىء ، وإلا ضاعتْ الفائدة منه .

٢ — يوضح صاحبُ الرتبة فى بطاقاتِ زيارته رتبته ، بالاصطلاح المعروف للدلالة عليها ، فيقال مثلا : « فلان بك » أو « فلان باشا » . ولا حرَج على الأفندى أنْ يضعَ هذا اللفظ عقبَ اسمه . تفاديًا من الخطأ فى بيان صفته .

ولا يليقُ تصدير الاسماء بالديباجة الخاصة برتبة صاحبها ، فلا يكتب «صاحب العزة فلان بك» أو «صاحب السعادة فلان باشا » الخ

٣ — يحسنُ بالمرء ، أن يحمِلَ دائمًا معه بطاقات زيارته ، لصلوحها فى التعارُف ، وإعلان الزيارة وغيرهما .

ولا يجوزُ للاصغر أنْ يرسلها الى الأكبر ، ولا للمرءوس الى الرئيس ، إلا لأعلان زيارةٍ أو التماس مقابلة .

٤ — لاتبيح الآدابُ الشرقية للمرأة ، أن تتخذَ لنفسها بطاقاتِ زيارة تطبع اسمها عليها .

وعند الأفرنج لايجوز للعزب والارمل ، أن يبادلا العزبة والارملة بطاقات الزيارة ، بمناسبة عيدٍ أوحفلة إلا إذا كانت بينهما مصالح مشتركة .

٥ - يتفق ألا يجدَ الزائر مزوريه من أسرة واحدة، فيترك لكلّ منهم بطاقةَ زيارةٍ، وهو خطأ. لأنّ الزائر لايتعدّد بتعدّد مزوريه، ووريقةٌ واحدة تكفى الجميع.

٦ - حاذرْ من كتابةِ أسرارك، على وريقات زيارتكَ، لاسيما اذا كانَ لها مساسٌ بأسرتكَ، أو بعملك الذى هو قَوام حياتك.

فربّ سرّ يكون افشاؤه من هذه السبيل، سببَ الاضرار بك فى رزقك، ومستقبلك، وهناءتك.

٧ - لافرْق فى استعمال الوريقات، بين المناسبات السارّة والمحزنة. فإذا علمت مثلا أن مصاباً نزل بصديق لك، فبادر بإرسال وريقة الزيارة اليه، متضمنةً كلمةَ تعزيةٍ وسلوانٍ، واجعلها مقدّمةً لزيارته بنفسك.

آداب عيادة المريض

١ - عاطفةُ الرحمة وآصرة [1] القرابة فى الانسانية،

(١) الآصرة مايعطف الناس بعضهم على بعض من رحم أو قرابة أو صهر

تقضيان عليك بعيادة المرضى الذين يمتّون (١) اليك بحبل القرابة أو الصحبة .

ومما جاء في الحضّ على العيادة حديث : « من حقّ المرء على المرء ، إذا مرض ، أن يعوده »

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ، يعودُ جاراً يهوديا له ، وهو دليلٌ على أن العيادةَ لاتتوقف على الاختلاف في الاديان ، أو الاجناس ، أو اللغات .

٢ — استعلم قبل عيادة المريض ، إذا كان في قدرته استقبالُ العوّاد ، فإذا جاءك الخبرُ بالامكان ، فبادر بأدائها . ولك فيما بعدُ أن تعيدَ كرّة العيادة ، بحسب ماتسمحُ لك صلتك بالمريض أو بآله (٢) .

٣ — الأليقُ في عيادة المريض ، ألا تسلمَ عليه بالقول ، كيلا تحوجه الى الردّ ، بل الزَمْ السكوت إلا مايكون دعاء له في نفسك ، أو استفهاماً عن حاله من المنوط بهم تعهده .

---

(١) يمتون من مت بمعنى يمتدون اليك ويتصلون بك

(٢) قال الصادق في بيان مواعيد العيادة : « لاتكون العيادة في أقل من ثلاثة أيام »

أما إذا كان المريضُ قادراً على الكلام ، فاجعل سؤالك منه قاصراً على كلمة أو كلمتين ، كأن تقول له : « كيف أنت ؟ » أو « كيف أصبحت ؟ » . ولا تسترسل معه فى الكلام بما يكون داعية تعبه ، ولا تواجهْهُ ببيان ما يمكنُ أن تلاحظه على جسمه من النحول ، أو على وجهه من امتقاع اللون ، وإلا جعلته قلقَ البال على صحته ، وآيسته من نيل الشفاء .

٤ – اذا كنت فى دوْر النقاهة من مرضك ، وعُدْت مريضاً ، فلا تجعلْ حديثك فى مرضك ، ولكن اظهر العنايةَ والاهتمام بمن تعودُه . إيثاراً له منك على نفسك .

٥ – اذا عدت مريضاً خففْ ، فربما سبقك سواك الى عيادته ، فنزل به لذلك شىء من الضيق .

ومما جاء فى ذلك حديث : « أعظمكم أجراً فى العيادة أخفكم جلوساً » . وقول على رضى الله عنه : « أعظم العباد أجراً من اذا عاد أخاه ، خففَ فى جلوسه ، إلا أن يكون المريض يحبّ ذلك . ويريده ويسأله »

والنوادرُ فى وجوب هذا التخفيف كثيرةٌ . أطال

أحدُ العوّاد الجلوسَ عنـد مريضٍ ، فقال المريض : قد تأذّينا من كثرة الداخلين . فقال العائد : أأغلق الباب ؟ فقال المريض : نعم ولكن من خارجٍ . وسأل أحدهم مريضاً: ماتشتهى ؟ فأجاب : أن لا أراك . وأطال أحدُهم الجلوسَ عند مريضٍ ثم سأله : ما أشدّ ما مرّ عليك فى مرضك ؟ فقال : قعودك عندى .

وفى الحقيقة إن كثرةَ التعاهد ، سببُ التباعد .

٦ — يحسنُ بالمريض ألا يشتكى الى عوّاده ، ما أصابه من الآلام بقوله مثلاً : « لقد ابتليت بما لم يبتلَ به أحد » الخ . بل يحسنُ به التمسكُ بأهداب الصبر . لأن شكواه لاتخففُ عنه المرض ، ولا تعفيه من الألم .

ومتى أتم الله له الشفاء، كان من دلائل اعترافه بالجميل، ومقابلته الفضلَ بمثله ، أن يزور عوّاده ، ليشكرلهم عنايتهم به فى مرضه .

٧ — اذا نزل بجارك أو أحد معارفك مصاب فى ماله ، فخليق بك أن تزوره ، عساك أن تخفف عنه بحسن المواساة ، وجميل التوجع ، أعباء الهموم التي أنقضت ظهره ،

وكسرت جناحه .

على أنك ، إذا واجهته ، لايليقُ بك أن تبادئه الحديثَ فيما أصابه . بل انتظر ريثما يفاتحكَ بنفسهِ فيه ، ولك عندئذ ان تأخذ بأسباب تسليته .

آداب التخاطب

١ – ينبغى فى التخاطب حسنُ الفهم والأفهام ، مع الاصغاء للمتكلم . قال حكيم لابنه : « يابنىّ تعلم حسنَ الاستماع ، كما تتعلم حسنَ الحديث . وليعلمْ الناس أنك أحرصُ على أن تسمعَ ، منك على أن تقول . واحذرْ أن تسرعَ القول ، فيما يجبُ الرجوعُ عنه بالفعل ، حتى يقال إنك على فعل مالم تقلْ ، أقربُ منك الى قول مالم تفعل »

وكان عبد الملك بن مروان ، يجمع في نفسه فضائل الحديثِ ، فقد قال فيه واصفهُ . ماعلمتهُ الا آخذاً بثلاث ، تاركا لثلاث ، آخذاً بحسن الحديث اذا حدّثَ ، وبحسنِ الاستماع إذا حُدثَ ، وبأيسرِ المؤونةِ إذا خولفَ ، تاركا

لمجاوبةِ اللئيمِ ، وممـاراةِ السفيهِ ، ومنازعةِ اللجوج »

٢ — يُراعى فى الكلامِ سنّ المخاطبِ ، وعلمهُ ، ومرتبتهُ فى الهيئةِ الاجتماعيـة ، فالقاصرُ لا يخاطبُ بما لا يفهمهُ إلاّ البالغُ ، ولا الجاهلُ بما لا يُدركه سوى العالم ، ولا الصغيرُ بما لا يليق إلا بصاحب المقام الكبير .

لأنه لما كان المقصود من الكلام ، تفهيمَ المخاطب غرضاً من الاغراضِ ، فالخروجُ عن تلك الشروطِ ، خروجٌ بالكلامِ عن القصدِ الذى يرمى اليـه ، وتعجيز للمخاطب عن فهمه ، أو تحقيرٌ له .

٣ — يتفق لبعضِ الحاصلين على نتفٍ من العلم ، أن يدفعهم حبّ الظهور والتميز بالبراعة فيه الى فتحِ أبوابهِ أمامَ من يجهلونه ، فيتلقى هؤلاء قولهم فيه بالجدل ، الذى لا يلبث أن ينقلبَ الى خصام .

فاحذر إذن أن تقصدَ الظهورَ والمباهاةَ من وراء ماسعيت ، وإلا وقعتَ في الرياء ، أو أن تعرضهُ على الجهلاء كما يعرض التاجرُ سلعتهُ البائرةَ فلا يجدُ لها مشترياً ، وتذكر فى ذلك ، نصيحةَ الأمامِ عليّ رضىَ الله عنه ، حيث

قال : « لاتحدّث بالعلم السفهاء فيكذبوك ، ولا الجهالَ فيستفتنوك ، ولكن حدّث به من يتلقاه من أهلهِ بقبولٍ وفهمٍ ، فأنّ لعلمكَ عليكَ حقا ، كما أن عليكَ فى مالكَ حقا : بذلهُ لمستحقهِ ، ومنعهُ عن غير مستحقه »

٤ — إذا مثلتَ بينَ يدىْ كبيرٍ ، أو رئيس ، فليكنْ قولكَ له معبراً عن معنى الاحترامِ ، والاجلال ، وخالياً من أثرِ التصنعِ والتكلفِ .

وإذا جلستَ اليـهِ لتحدّثه ، فلا تجعلْ كلامك إلاّ جواباً على سؤالٍ ، إذ لايصحّ أن يكون كلامُ الصغيرِ إلاجواباً على سؤالِ الكبيرِ .

٥ — إذا عنّ لك ، أن تسأل مخاطبك عن حالِ البعض من أهلهِ ، وكان من علاقتهِ بك ، مايجيزُ هذا السؤال ، فتلطفْ فى العبارة ، واجعلْ رائدك فيها محضَ الاهتمام بأمره

وليس للمرأةِ أن تسأل رجلاً عن حالهِ ، مالم يكن مريضاً أو شيخاً كبيراً .

٦ — إذا كان كلامك معَ مخاطبك فى قرينتهِ ، فلا تكنها ولا تسمها ، ولا تخاطبهُ فيها بمثل قولك : « قالت

زوجتك » أو « أرادت أمّ فلانٍ » أو « فلانةٌ » بالاسمِ إنما يقال كنايةً عنها : « قيل فى الحرمِ » أو « فى الحجرة ، أو « من وراء الستارِ » الخ .

ولك أن تتصرّف بمثلِ هـذا الأدب ، فى كلامك عن الأقارب الأقربين ، رجالاً ونساء ، فتقول : « السيد الوالد » أو « العم المحترم » أو « الوالدة المصونة » الخ .

٧ — لايحسنُ بمهذّب ، إذا أجاب على سؤالٍ إيجاباً أو سلباً ، أن يقتصر على قوله « نعم » أو « لا » . لاسيما إذا كان لمخاطبهِ فضل السبق عليه فى السنّ ، أو العلم ، أو خطورةِ الشأن .

بل خليقٌ بمثله ، أن يُردفَ احدى هاتين الكلمتين ، بكلمةٍ يستطلعُ السائل منها طلعَ المودّةِ والاحترام ، كأن يقول : « نعم أيها الصديق » أو « لاياسيدى » الخ

وإذا كان صاحبُ السؤالِ من أربابِ المراتب ، فليذكر فى إجابتهِ مايشعرُ برتبته ، كأن يقول : « نعم يادولةَ الرئيس » أو « لايامعالى الوزير » الخ

٨ — إذا وجهت خطابك بالاستفهامِ الى ذى مقامٍ

عالٍ ، أو الى من لم تتوثق بينك وبينه صلةُ المعرفة . ورابطةُ الإلفة ، فلا تخاطبهُ بالكاف ، كأن تقول له : « دولتك » أو « سعادتك » أو « حضرتك » الخ . لأن هذا لايكون إلا بين الاكفاء والنظراء . وإنما فى صيغة المفردِ الغائب ، كأن تقول : « أيأمرُ دولة الرئيس بكذا » أو « أيتفضلُ معالى الوزير بكذا » الخ

ولا بأس من التخاطب بالكاف ، بين الأصدقاء الذين جمعتهم لحمةُ التنشئةِ فى المدارس ، وبين الاخوةِ والاخواتِ ، والزوجِ وزوجهِ . لأنه أوضحُ فى الدلالةِ على وثوق عُرى الإلفة والمودّةِ بينهم .

أما الرئيسُ الذى يخاطبُ مرءوسهُ بالكافِ ، فأنما ينتحلُ لنفسهِ حقا لايتفقُ مع الأدبِ ، ولايطابق واجبَ الأحسان .

٩ — غيرُ جائز فى شرعة الذوق ، إذا لم يتلقطْ سمعك خطاباً موجهاً اليك ، أن تصدمَ الذى وجههُ بقولكَ له : « إه » أو « ماذا تقول » أو « كرّر ماقلت » الخ .

وإنما يليقُ بتربيتك ، إذا فاتكَ فهمُ ذلك السؤالِ ،

أو أخطأك سمعهُ ، أن ترجوَ من صاحبهِ تكرارَه ، في مثل الصيغة الآتية : « هل يسمحُ سيدى بأعادة السؤال؟ » الخ

١٠ – إذا جرّ سياقُ الحديثِ ، الى ذكرِ أناس أنتَ واحدُهم ، فواجبُ التواضعِ يحتم عليكَ إيرادَ اسمك في آخرهم ، مجرّداً من الألقابِ .

وكفاكَ رفعةً أن ينطبقَ عليك قولُ القائل :

متواضعٌ والنبلُ يحرسُ قدرَهُ

وأخو التواضعِ بالنباهةِ ينبلُ

١١ – حسبكَ أن تعدّ من اصحاب الأناةِ والفطنةِ ألا تقطعَ على مخاطبك كلامهُ ، ولاتظهرَ له جزَعكَ من سماعهِ ، إذا لاحَ لك فيهِ مايوجبُ الاعتراضَ .

فأن أدبَ التخاطبِ يتطلبُ منك ، أن تدع المتكلم حتى يتمّ كلامهُ ، ثم تأخذَ بسردِ مايعنّ لك من وجوهِ الاعتراضِ ، بأدب أساسهُ حسنُ الاعتذار ، وحسن القصدِ .

وليس من كرمِ الخلال ، أن تجبههُ في وسطِ كلّ جملة بقولك : « أخطأتَ » أو « زعمٌ باطلٌ » أو « قولٌ لاصحةَ له » ، أو أن تغتصبَ منهُ زمامَ الحديث ، بعد

قولك له : « من غير قطع كلامك » ، فإنّ هذا الاستدراك لاينفى عنك تهمةَ أنك قطعتهُ فعلاً .

١٢ — اجتنب فى خطابك ، كل مايدعو الى سوء التأويل ؛ من تهويشٍ فى ترتيبِ الجملِ ، أو تصحيفٍ ، أو تورية الخ .

فأنّ سوء التأويلِ يولد سوء الظنّ ، الذى يفضى غالباً الى العنادِ والتجافى والخصومةِ ، وينقضُ عقدةَ الإلفة بين الاخوان ، والاصدقاء المتصافين .

١٣ — من خصال الحلم والرفق والرقة ، ألا تتخذ فى مخاطبةِ الخدَم والفقراءِ والايتام ، لهجةَ الآمر ، وغلظةَ المتجبر .

فأنّ على المرءِ نحو الضعفاء حقوقاً ، ترجعُ الى فضيلةِ الاحسان ، التى ينبغى أن يعاملوا بها ، فى كلِ زمانٍ ومكان .

١٤ — كثيرٌ من الكلام ، إذا ورد على لسان المتكلم ، نمّ على خلقهِ ، وكفى السامعَ مؤنةَ البحثِ فى أمره .

فالكذابُ الذى يحسّ بكذبه وهو يحدّثك ، لايخلو كلامهُ من الحلفِ والتأكيد ، وذكرِ الصدق ، والمطالبة

بالتصديق .

والثرثار الذى إذا مللتَ سماعه ، وهو يبدأ كل جملةٍ بقوله : « بالاختصار » « الحاصل » « الخلاصة » ، ثم لمح منك ذلك ، قبض على يَدِك ، أو أمسك بأطراف ثوبك ، أو بأزرارك ، ليجبرك على سماعه .

فحاذرْ إذن أن تقولَ قولاً يسوءك أن يأخذَ به سامعك ، للحكم عليك بنقيصة من النقائص ، التى لاتودّ أن يصمكَ بها الناس .

قال اللورد شسترفلد لولده : « يابنى لاتقبض يدَ أحد ، ولاتمسك بأطراف ثوبه ، إجباراً له على سماع قولك ، لأنّ الأولى بك ، اذا كان لايرغب فى كلامك ، أن تمسكَ لسانك ، لا أن تكلف بمسك ثيابه بنانكَ .

١٥ — من محاسن الكلام ، ألا تتكلف فى التعبير باللغة العربية ، لهجةً تجعلها أقربَ الى لهجة إحدى اللغات الافرنجية ، تلتمس بذلك تقليدَ أصحاب هذه اللغات فى حروفهم ، فلا يفهم قولك أبناءُ لغتك ، ولا الذين تفتخر بتقليدهم .

ومن محاسنه ، ألا تجعله خليطاً من جمل عربية وإفرنجية ، فتحمل سامعك على الاعتقاد بأن لغتك غير وافية بحاجة المتكلم فى التعبير عن المراد ، وتسن سنة ، إذا أخذ بها غيرك ، عدوا من المفرطين فى لغتهم ، وبالتالى فى وحدة ذاتهم .

آداب الحديث فى المجالس

١ — لايكفى فى الحديث ، مادام الغرض منه الافصاح عن المراد ، أن يوافق تركيبه الصراحة وقواعد الاعراب فقط ، بل أصول الأدب واللياق ، التى تصان بها العادات المرعية ، والتقاليد المتبعة .

فينبغى إذن ، أن يكون أساس الحديث فى المجالس ، الاستقامة والفائدة ، وسواء أكان موضوعه بحثاً فى مصلحة ، أم مباسطة بالكلام ، على سبيل التودد وتزجية الأوقات .

٢ — يجب فى المجالس الحذر من فلتات اللسان ،

إما بالتحفظ فى القول ، فلا ينبس المتكلمُ بكلمةٍ ، مالم يزنها بميزان الروية والتبصر ، وإما بالسكوت إذا عهد من نفسه العجز . لأن حظ المرء من الصمت له ، بخلاف حظه من الكلام فأنه لغيره ، ووباله راجعٌ عليه

وما أحسنَ ماقاله أحد الحكماء : « إننى أملك الكلمةَ فإذا تكلمت بها ملكتنى »

وكم من ملتزمٍ الصمتَ فى المجالس ، وصفهُ الناس بحسن السمتِ ، ونحلوه بنحلة العلمِ والعقل ، حتى إذا تكلم دات الاقوال على الاحوال ، وهتك المقول قناع العقول .

كان رجلٌ يحضر مجلس القاضى أبى يوسف ، ويطيل السكوتَ ، فسأله : مالك لاتتكلم ولا تسأل عن مسألة ؟ فقال : اخبرنى أيها القاضى متى يفطر الصائم ؟ فقال : إذا غابت الشمس . فقال : فإن لم تغب الى نصف الليل ؟ فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول الشاعر

وفى الصمتِ زينٌ للغبىّ وإنما
صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

٣ - إذا كان الصمتُ ستاراً للجاهل ، ووقايةً

لصاحب العجز والعيّ من شر الفضيحة فى المجالس ، فأنه زينةُ النساء والاطفال ، والضالة التى ينبغى لهم أن ينشدوها على الدوام .

طلب الى مدام داسييه ، وكانت من أشهر نساء عصرها في الأدب والعلم والفضل ، أن تكتب سطراً فى صحيفـةٍ تذكاراً لزيارة أدتها ، فكتبت : « حليـة النساء الصمت »

وليس للاطفال الحـديثُ فى المجالس إلا بأذنٍ ، أو جواباً على سـؤال . وينبغى أن تشعرَ حركاتهـم وأقوالهم بالاحترام والرصانة ، فلا يرفعوا أصواتهم ، ولا يضحكوا إلا تبسما عند المناسبة ، ولا يتخذوا أوضاعاً لاتتفق مع أعمارهم .

٤ — من الحصافة وحسن الرأى ، أن يكونَ الاستماع أحبّ الى الأنسان من النطق ، وأن يكون كلامه ، إذا تكلم ، بقدر مايبلغُ به حاجته من التفهيم ، وإلا وقعَ فى فضول الكلام ، الذى كثيراً مايفضي الى هلاك المرء ، كفضول المال سواء .

تكلم رجلٌ عند النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فأكثر. فقال له : كم دونَ لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاى وأسنانى . قال : أفما كان لك فى ذلك مايردّ كلامك ؟ ما أوتى رجلٌ شراً من فضلٍ فى لسانه !

وقال الحكيم لوساج (١) : « ينبغى لنا أن نزن كلامنا بالذهب » ، أراد بذلك أن حرص المرء على كلامه ، يجب أن يكون كحرصه على ماله .

والأطالة فى القول لاتجوز ، الا إذا رُمىَ بها الى غرضٍ محمود . قال تعالى : « لاخيرَ فى كثيرٍ من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بينَ الناس » .

٥ — إياك وتعقيب السؤال بالسؤال فى حديثك ، فأنك لاتأمن مع توالى الاسئلة ، أن يفرُط منك سؤال لاتسرك الاجابة عليه .

لذا يحسن بالسائل ، أن يزنَ كلّ سؤالٍ قبل أن يوجهه الى مخاطبه ، وأن يمسك عن الأسئلة المريبة .

---

(١) لوساج (ألين رينيه) من كبار الكتاب والفلاسفة الفرنسيين ولد سنة ١٦٦٨ وتوفى سنة ١٧٤٧ ومن مؤلفاته التي اشتهر بها قصة (جيل بلاس) ورواية (توركاريه) المضحكة

على أنه إذا لم يكن بدّ من السؤال ، فليكنْ فى قالبٍ ينفى عنك مظنة سوء القصد ، فيما إذا سألت محدثك ولم يرُق له سؤالك ، كأن تقول : « هل من بأس اذا سألتكم عن كذا » ؟ « أتجد غضاضة فى الاجابة على كذا » الخ

واجتنب عادة الفضوليين ، الذين كلما انتهوا من جملة ، سألوا السامعين إذا كانوا يفهمون مايقولون .

٦ — اذا سئلت ، فلا تبتدرْ الجواب ابتداراً ، بل تروّ فيه على شريطة ألا تبطىء في ذلك كل الابطاء ، والا عدّ السائل سكوتك الطويل عجزاً عن الجواب . ولتكن من التواضع فى اجابتك ، بما يرفعك فى عين محدثك .

واذا كان فى السؤال ، ما تعلم أن فى الاجابة عليه افشاء لسرٍّ مكتوم ، أو تعريضاً بشخصٍ غائب ، فتلطف مااستطعت فى التنصل من الجواب .

فاذا ألحف السائل فى سؤاله ، وأبى الا الجوابَ ، فصارحه بأنك لاتحيط علماً بالامر ، أوأنك تعلمه ولكن ترى من الصواب السكوتَ عنه ، ثم ناجِ نفسك بقول القائل :

ومازلتُ فى الكتمانِ حتي كأنني

يرجع جوابِ السائلى عنه أعجم

٧ - لاتستأثر بالحديث ، ولا تملكْ على السامعين أطرافه ، حتى تلزمهم الصمتَ وتضطرّهم للاصغاء بالرغم منهم . لأن هذا خلقُ الثرثار الفضوليّ ، الذى يخلق به أن يتمعن قولَ أحد الحكماء : « أنصف أذنيك من فيك ، فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفمٌ واحدٌ ، لتسمع أكثرَ مما تقول »

٨ — إذا كان محدّثك ثرثارةً ، فادفع عنك مللَ الاستماع بالصبر الجميل ، ولا تقطعْ عليه قوله . ولكن تحيلْ على الخروج بالحديث الى مقصدٍ آخر ، يضطره الى الاختصار ، أو تاطفْ فى الاعتذار عن استماع بقية الحديث .

٩ — إذا سنحت فرصةٌ للكلام فى موضوع قتلته بحثا ، وأنست من محدّثك إقبالا على سماعه ، فلا بأس من الكلام فيه مع البيان .

وإذا رجا هو منك ذلك ، فعجل بتحقيق رجائه ، متى

لاحَ لك أن رغبته هذه ، لم تكن عن تصنع أو محاباةٍ .

١٠ – أثقلُ الأحاديثِ على الأذن ، الحديثُ المكرَّر . على أن تكراره لايبيح لك إسكات المحدّث ، لاسيما إذا كان شيخاً كبيراً أو صاحب شأن خطير .

ويحسنُ بالمحدّث ، إذا داخله شكٌّ في سبق الخوض فى ذلك الحديث ، أن يسأل سامعيه إذا كانوا على علم به ، ليتكلمَ أو ليحجم .

١١ – إذا جرّ الحديثُ الى ضرب مثلٍ ، أو انشاء تشبيهٍ ، فاعرضْ مايعنّ لك من ذلك على محكّ الذوق ، قبل أن ينطلق به لسانك ، فإنك لاتأمن أن يكون فى ذكر أحدهما مايؤلم سمعك .

فلا يليق بك إذن أن تقول مثلا فى حضرة طبيب : « اسأل مجرب ولا تسأل طبيب » الخ

١٢ – لايؤذى السمعَ ، وينفر الطبع ، مثلُ قول المتشدّق المتفاصح ، الذى يتكلف السجعَ حيث لايلزم فى فهم حديثه الا القولُ المرسل ، والكلام الذى يتوارد عفواً على اللسان ، للتعبير عما يدور فى الجنان ، أو يتصنع

الفصاحة حباً فى الظهور على الأخوان .

فاحذرْ كلَّ الحذر ، أن تقتدىَ بأولئك المتشدّقين المتكلفين ، الذين ورد فى حقهم حديثُ : « إن أبغضكم الىّ ، وأبعدَكم منى مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام »

١٣ — كثيرٌ من الناس ، إذا تحدّثوا ، يلقون القول على عواهنه ، لايبالون من أين أخذوه ، إما لسذاجة فطرية فيهم ، تنزلُ بهم الى دَرَك البلاهة ، وإما لجهلٍ منهم بأحوال الزمان والمكان ، فيتخذ سامعوهم هذه الزلة فرصةً لتعييرهم ، والتنديد بهم ، والتهكم عليهم .

وهى خلةٌ يجب عليهم ، إذا كانوا ممن نشأوا نشأة حسنة ، اتقاؤها والبعد عنها . لأنها فضلا عن منافاتها للمروءة والاحسان ، تورثُ الضغائنَ والاحقاد فى الصدور .

١٤ — من كمال الأدب ، ألا تهوّشَ على أحدٍ فى كلامه ، ولا تقطعه عليه ، بل كن كما طلب أحد الملوك من نديمه : « إذا حدّثتك فلا تقطع علىّ الحديث ، بل

أرِني فهمك في نظرِك »

وإذا سئل غيرك ، فلا تجبْ أنتَ عنه ، وإذا حدّثك بحديثٍ ، فلا تقتحم عليه فيه ، ولا ترِه أنك تعلمه ، وإذا كلمته فأخذَته حجتك ، فحسنْ مخرَجَ ذلك عليه ، ولا تظهرْ الظفرَ به ، وإذا شرعتَ في الحديث ، فلا تتخذْ أوضاعَ الادعياء ، ولا تتكلفْ هيئاتِ العارفين بأسراره ، والقابضين على ناصيته ، ولا تتكلم بلغةٍ غير التى يفهمها الحاضرون ، ولا تسرّ لأحد الحاضرين كلاماً فى أذنه .

وإذا داعب جفونك النعاسُ ، فعجلْ بالانصراف ، كيلا تعرّض نفسك للاستهزاء ، بنومك بين اليقظين . ولا تسأل عن الوقت ، ولا تنظر فى ساعتك ، مالم تكن واثقاً بخلوّ سؤالك أو حركتك ، من أثر يدل على ضجرك .

آداب صون اللسان

١ — أرأيتك لو سمعتَ رجلا يتكلم فيما ليس له به

علم ، أو شهدته يندسّ بينك وبين محدّثك ، ليشاركـكما فيما لايعنيهِ من حديثكما ، أكنت تشتهى الاقتداء به فى فعله ؟ إنى لأربأ بك أن تكونَ من كثافة الطبع وثقل الروح ، بحيث تشبهُ هذا الرجل . إذ ليس فى عيوب الناس ما هو أدعى الى احتقارهم ، من الاشتغال بما لايعنيهم ، وإضاعة الوقت فيما لاحاجة لهم به .

وإنه لجديرٌ بمن ابتلى بتلك الآفة ، أن يسكت عن بعض مايعنى ، حتى يعتادَ لسانه ترك ما لا يعنى .

٢ ــ إذا جرّ سياقُ الحديث ، الى ذكر عيوبٍ يستحيا منها ، أو تتقزّز النفس من ذكرها ، فما أغناك عن التصريح بأسمائها ، ترضى السامعَ والمصابَ بها .

ويكفى أن تقول فى التعبير عنها : « العارضُ الذى يشكوه فلان » أو « النازل الذى نزل به » الخ

وفى القرآن الكريم أكثرُ من آيةٍ كنىَ فيها عن الآفات المستقبحة ، بأرقّ الألفاظ ، كآية : « اضممْ يدكَ الى جناحك ، تخرجْ بيضاء من غير سوء » . يريد به البرَصَ وهو آفة تشمئزّ منها النفس ، لمجرّد سماع هذا اللفظ الدالّ

عليها .

ودخل رجل على أمير ، وفى وجهه أثرٌ . فقال الامير: ماهذا الأثر الذى فى وجهك ؟ . قال : ركبت فرَسى الاشقرَ فجمح بى . فقال الأمير : أما أنك لو ركبتَ الأشهبَ لما فعل . فكنى الرجل عن الاشقر بالنبيذ . وكنى الأمير عن الاشهب باللبن .

واذا كان محدّثك مصاباً بعاهةٍ بدنية أو أدبية ، فلا تعيره بما تعلمه فيه منها ، فإن التعيير بالعيوب ، أدعى الى وجودها فى المعير ، اذا لم تكن فيه .

٣ — تنبيهك الى عيوب غيرك ونقائصه ، على وجهٍ تقصدُ به اثارة الضحك ، إما بالمحاكاة فى الفعل والقول ، وإما بالاشارة والأيماء ، ينافى المروءةَ والشهامة ، ويوجب لصاحبه الهوانَ والمقت .

وقد نهى عنه فى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لايسخرْ قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ »

فحاذرْ إذن متي التقيتَ بشخصٍ مشوّه الصورة ،

أورأيتَ بين رفاقك من لم ينتظم عمله ، أن تسخر منهما بقصد الاستهانة والتحقير ، بل احترم الأعمى احترامك للبصير ، فربّ عيبٍ تسخرمنه وأنت موضعُ السخرية فيه لغيرك ، بدون أن تشعر .

٤ — للدين مقامٌ محمود ، ومرتبةٌ تسمو على جميع المراتب ، فلاتغفل إذن عن اجلاله ، باتقاء القدح فيه : ولا عن احترام أهله باجتناب الطعن عليهم ، ولو بدَرَ من أحدهم في حقك مايوجبُ استياءك ، ويدعو الى احتجاجك . لأنك إذا كنت مأمورا بالعفو عمن يسيء اليك ، فأولاهم بعفوك أولئك الذين نصبوا أنفسهم للارشاد ، وانقطعوا لخدمة الحقيقة

٥ — لاتدنسْ لسانك بالغيبة ، كأن تذكرَ أخاك ، إذا غاب ، بما لاتحبّ أن تذكرَ به ، أو تعيبه بما يحتمل أن يكون لاصقاً بك من العيوب .

لأن من يغتاب غيره كمن يأكل لحمه « وقد حرم الله أكلَ لحم الأنسان كما حرم ماله ودمه » ، صدق الحديث الشريف .

فعلى كريم الأخلاق، ألا يدعَ أحداً بغتاب غيره حتى ينبرىَ للدفاع عن كرامته، وليترفقْ بالمغتاب فى زجره عن فعله، فإما أن ينتهىَ، وإما أن يعجلَ بمفارقة مجلسه.

قال اعرابىّ لمغتاب: «استدللتُ على كثرةِ عيوبك بما تكثرُ من عيوبِ الناس. لأن طالبَ العيوب يطلبها بقدر مافيه منها. وقال الشاعر:

وأجرأ من رأيتُ بظهر غيبٍ على عيب الرجال أولو العيوب

٦ – ما أشنعَ النميمةَ! وما أحطّ نفسَ النمام! وما أوخمَ مصرعه! وإنّ على الباغى تدور الدوائر.

تكون مطمئناً ناعم البال، فيسعى بك عند أقرب الناس اليك، كأبيك أو أخيك، فإذا بنار العداوة قد شبّ ضرامها بينكما، وزاويةِ الخلف قد ازداد انفراجها.

بل قد تكون الأمة، على أحسن مايكون من العلائق مع جارتها، فتكفى كلمةُ سعايةٍ بها عندها، ليكون بينهما مايكون من الشرر فى الهشيم، إذا هبت الأعصار.

وإنه لخليق بصاحب الأخلاق الطاهرة، والأعراق الزكية، ألا يقبلَ النميمة. لأنّ قبولَ النميمة، شر من

النميمة نفسها .

وما أحسنَ ما ردّ به الخليفة المعتصم [١] على رجل كتب اليه ، على سبيل الوشاية ، أن فلاناً مات وخلف مالا كثيراً ، ولا وارثَ له غيرُ ابن واحد ، يريد بذلك حثه على استخلاص ماله لنفسه ، فأجابه الخليفة بقوله : « أما المال فثمره الله ، وأما الميت فرحمه الله ، وأما اليتيم فأنبته الله ، وأما الساعى فلعنه الله »

٧ – جانبْ الكذب فى أقوالك ، إذ كفى بالكذب نقيصةً أن من يشتهر به لايجوز صدقه ، فإذا عاقد لايوثق بعقده ، وإذا واعد لايُسكن الى وعده ، وإذا تظلم تسرعت اليه التهمة ، وإذا تألم تباعدت عنه الرحمة .

واحذر أن تجعلَ عذركَ فيه ، أنك أردتَ به المباسطة والمزح . لأن الكذب كما لايجوز فى الجدّ ، لايجوز فى

(١) أبو محمد المعتصم بن هارون الرشيد هو ثامن الخلفاء من بنى العباس بويع له بالخلافة (سنة ٢١٨ هـ — ٨٣٣م) وتوفى (سنة ٢٢٧ هـ — ٨٤٢) كان شديدا يحمل ألف رطل ويمشى بها ضعيف القراءة والكتابة . وهو اول من أدخل الاتراك الدواوين وألبسهم الذهب والديباج وبنى لهم مدينة (سر من رأى) بقرب بغداد . وفتح عمورية بعد أن قتل من الروم ٣٠ ألفاً وأسر ٣٠ ألفاً . ويقال له المثمن لدخول رقم ٨ فى اثنى عشر عددا تتعلق به منها ان أولاده ثمانية ذكور وثمانى بنات الخ

الهزل ، والمتفكهُ به إنما ينمّ على طبيعةٍ فيه مركبةٍ من الطيش ، والغباوة ، والغفلة .

قال أرسطو : « فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق الصدق ، فالأخرسُ الصامت خيرٌ من الناطق الكاذب » . وأوصى المسترشد (١) ابنه عند وفاته ، فقال له : « يابنىّ إن أردت المهابة فلا تكذبْ ، فإن الكاذبَ لايهابُ ولو حفّ به مائة ألف سيف »

٨ — الصدقُ فى الكِفة الراجحة من ميزان القول ، والكذب فى الكفة المرجوحة ، فعوّدْ نفسك مجانبةَ الكذب ، يجىءْ الصدق عفواً على لسانك .

ولا تخشَ وعيد من يريد صرفك عن الصدق ، فإنك بالشجاعة التى يبثها الصدق فى نفسك ، قديرٌ على قهر خصمك ، فإذا لم يوافك الفوز سريعاً ، فهو لابدّ موافيك ، مهما طال الأمد .

قال بعض الحكماء : « عليك بالصدق ، فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع ، بأعزّ من الصدق . والصدق

(١) هو الـ ٢٨ من خلفاء بنى العباس ولى الخلافة (٥١٢ هـ — ١١١٨ م) وقتله السلطان مسعود السلجوقى غيلة (٥٢٨ هـ — ١١٣٤ م) كان شجاعاً ودينا

عزّ وإن كان فيه ماتكره ، والكذبُ ذلّ وإن كان فيه ماتحب ، ومن عرفَ بالكذب ، اتهم فى الصدق »

ومن ألطف نوادر الصدق ، أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى استسرّ بخلال السرقة وشرب الخمر والكذب ، فأيهنّ أحببت تركته . قال : دَعِ الكذب . فمضى الرجل ، فهمّ بالسرقة . فقال : يسألنى رسول الله ، فإن جحدت نقضت ماجعلته له وإن أقررت حدِدْتُ فلم يسرق . فهمّ بشرب الخمر والكذب ففكر في ذلك ، فرجع الى رسول الله ، فقال له : لقد تركتهن أجمع .

٩ — ليس من صدق القول فى شىء ، أن يذهبَ المتكلم فى صراحةِ القول ، مذهباً يترتب عليه افشاء ما ينبغى كتمانه ، أو أن يخرج منه الى الاضرار بالناس ، أو السقوط فى الغيبة الذميمة .

وخليقٌ به أن يكون من الفطنة واليقظة عند الكلام ، بحيث يهتدى سريعاً الى المواقف التى يكون الكلام فيها صدقاً ينفع اعلانه ، أو صراحةً لايناسب الجهر بها . وليحذرنّ التعريضَ بكرامة سامعه . ولو كان فيه

مايطابقُ الواقعِ . لأن مواجهةَ الأنسان غيرَه بعيب فيه أو بحقيقة مؤلمة ، نقصٌ فى المروءة ، وسقوطٌ فى الهمة.

وإذا لاحَ له أن يلومَ أحداً لسببٍ ما ، فليتحين لذلك أنسبَ الفرَص زمانا ومكانا ، فربّ لوم فى الغد يكون أشدّ وقعا منه اليومَ ، وفى الخلوة أنفعَ منه أمامَ الناس .

١٠ — دَعِ الدّعابةَ والمجونَ مااستطعت ، إلا مايجىء منهما عفواً على اللسان ، بشرط التحفظ ، وعدم الاستغراقِ فى الضحك، وأن يكونَ القصدُ منهما التبسطَ والمطايبةَ .

على أنهما ، إذا جازا ، يكونان بقدر مايكفى لتعليل الطبـاع المكدودة ، والقلوب المتعبة . فأن من التفكه بالمزح ماهو نزهةُ النفس ، وربيعُ القلب ، ومجلبة السرور والارتياح .

والدّعابةُ والمجونُ لايجوزان بالمرة فى الاجتماعات الجدّية الراقية ، مهما يكن الموضوعُ الذى يجرّ اليهما ، والقالبُ الذى يوضعان فيه .

واعلم أن الاكثارَ من المزح يسقط الهيبةَ ، وأن

ممازحةَ العظيم، تورثُ ضغينته لك، كما أنّ ممازحة الدنىء، تدعو الى اجترائه عليك.

١١ — احذر أن تجعل كلماتِ الله موضوعَ هزلك ودعابتك، فلا تسلط عليها التحريفَ والجناسَ، والتوريةَ، وغيرها من حيل الكلام التى تخرجها عن مقاصدها الشريفة، طلباً للهو، وتزجيةً للوقت فى المباسطة.

لأنك بفعلك هذا، تجرّ الى نفسك، كراهيةَ الناس واتهامهم إياك بالكفر والزندقة، دع غضبَ الله ومقته.

١٢ — مما يستميل اليك القلوبَ، ويوجب لك التوقيرَ، مجانبةُ وجوه الخوض فى الباطل، كالكلام فى المعاصى، والتفكهِ بأعراض الناس، وإفشاء الأسرار، وهو أضر هذه الوجوه بمن يفشيها، وأدعى الى إلصاق تهمةِ الخيانة به، إذ الحديث أمانةٌ. ومن الخيانة أن يحدّث المرء بسر أخيه.

أسرّ معاوية بن أبي سفيانَ الى الوليد بن عتبةَ حديثا، فقال هذا لأبيه: ياأبت إن أمير المؤمنين أسرّ لى حديثاً، وما أراه يطوى عنك مابسطهُ الى غيرك. قال: لاتحدّثنى

به فأنّ من كتم سرّه، كان الخيار له . ومن افشاه ، كان الخيار عليه . قال : فقلت : يا أبت ، وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه ؟ فقال : لا والله يابَنىّ ، لكن أحب ألا تذللَ لسانك بأحاديث السرّ . قال : فأتيت الى معاوية فأخبرته . فقال : أعتقكَ أبوكَ من رقّ الخطأ ، فأن إفشاء السر خيانةٌ ، وهو حرامٌ إذا كان فيه إضرارٌ ، ولؤم إذا لم يكن فيه إضرار .

آداب المناقشة والمناظرة فى المجالس

١ - إذا نزلت فى ميْدان المناقشة مع غيركَ ، فلا تقصدْ تعجيزَه وتنقيصه ، بالقدح فى كلامه ونسبتهِ الى الجهل ، لتبينَ فضلك عليه ، بل اجعل رائدكَ حبّ الافادة والاستفادة ، أو ايضاحَ الغمض أو نصرة الحق ، وإلا خرجت من قصد البحث ، الى تزكية نفسك ، واظهار فضلها بتمزيق مناظركَ وصدْمهِ وايذائه .

٢ ـ اذا لزمتْ أحدَ المتناظرين الحجةُ من مناظره

فلا يظهرن له المراء (١) والعناد ، اذعاناً لما تذهب اليه نفسه من دعوى العلوّ والكبرياء . لأنه يهيجُ غضبه بذلك ، ويحمله على أن يعودَ الى نصرة كلامه ، بما يمكنهُ من حقٍ أو باطل ، وأن يقدحَ فيه فيثورَ بينهما الشجار ، ويكونُ من أمرهما كالكلبين اللذين يثور بينهما الهراش ، ويقصد كلاهما أن يعضّ الآخر .

وخليقٌ بالفطن اللبيب اذا ألزم خصمه الحجةَ فلم يقتنع بها ، أن يتلطف فى الخروج من ميدان المناقشة ، بدون أن يظهر له حرجَ صدره ، ولو كان فى مناقشته معه سفيهاً لجوجاً .

٣ — كنْ فى مناقشتك ، شديدَ الاستمساك بالحلم والمروءة ، فلا تفهْ بكلمةٍ إلا بعدَ الوثوق من مطابقتها لأصول الأدب الصحيح .

وإذا كان مناظرُكَ ممارياً ، فتوقّ ماعسى أن يدفعك اليه مراؤه ، من التعجيل فى الردّ عليه بتكذيبه ، أو بأغضابه فتصير ممارياً مثله . وإذا رأيتَ الصواب فى انكار مايقوله ،

(١) المراء هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم

فلك أن تجهرَ به على شرط ألا تصدمه ، ولا تهجمَ عليه .

٤ — لا تتكلفْ الازدراء بما يلقيه عليك مناظرُكَ من وجوه الاعتراض ، مادام المقامُ مقامَ استفادةٍ أو احقاق حقّ ، لامعرضَ عنادٍ أو مكابرة. ولا تأخذنك هزّة الغضب مما يقول ، لأن الغضب اذا تمكن من النفس ، حالَ دون تقدير قول الغير ، فيظنهُ الغاضب خطأ ، وما هو الا الحقّ الصراحُ . ومن ثمّ يتعرض لسقطاتِ اللسان .

٥ — يحسنُ أن تجعلَ التواضعَ والصراحة شعاراً لك في قولك ، سؤالا وجواباً ، اذ تستطيع الاستظهارَ بهما على مناظرك ، بدون أن يرى غضاضةً عليه في قهرك إياه .

وخليقٌ بكما ، متى لاح لكما فسادُ القضية التي يعزّزها كلاكما ببراهينه وآرائه ، أن تطرحاها جانباً ، وتبحثا فيما هو أصلح وأنفع .

٦ — إذا أقرّ خصمك بخطأه ، وفاءَ الي الحقّ من نفسه ، فقد وجب عليك احترامه واكرامه ، وألا تملأ ماضغيك فخراً بالفوز عليه ، فربما دعاه فعلك الى الندم على اعترافه بخطأه وفيئته الى الحقّ . وإذ كان الرجوع الى

الحق فضيلة ، فكأنك تعقّ الفضيلة بذلك .

٧ – اذا استدْركَ عليك أحدُ سامعيك زلةً فى حديثك ، أو خطأ فى تصوّرك فى أثناء كلامك ، فلا تنقمْ عليه ، لاسيما إذا جعل اللطفَ وحسن الاشارة ، رائدين له فى استدراكه .

على أن الذى ينقاد الى الغضب لذلك السبب ، انما ينادى بطيشه وحمقه ، ويعلنُ عن كراهته للحق والصواب .

٨ – من كمال الأدب ألا تعطىَ رأياً فى مناقشةٍ ثار ثائرُها بين طرفين ، الا بدعوةٍ من أحدهما أو من غيرهما ، على شرط التحفظ والاحتياط ، وبدون أن تعطىَ لقولك صبغة الحكم الجازم ، بل الزم دائما حدود الاحتمال والتخمين ، كى تجد لنفسك مخرجاً من بينهما ، فيما لو طعن فى رأيك ، أو ألقيت تبعته عليك .

واذا كان الاحتياط لازماً من الكبار ، فهو من صغار السنّ ، الذين لم تهذّبهم التجارب ، ألزمُ وأوجب

٩ – اذا أعطيتَ رأيك ، فلم يرُقْ للحاضرين جميعاً ولم تجد من بينهم نصيراً لك فيه ، فإن هذا الاجماع يدل

على أنك لم تصبْ فيه شاكلة الصواب والحق .

لهذا يحسنُ بك الجهرُ بالرجوع عن الانتصار له ، والدّعوة اليه ، وإلا خرجتَ الى الأعجاب بالرأى ، والمراء الذى قال فيه أحد الحكماء : « كفى بك اثماً ألا تزال ممارياً » وورد فيه حديث : « لا يستكمل عبدٌ حقيقةَ الأيمان حتى يدَعَ المراء وإن كان حقا »

١٠ — اجتنبْ ، ما استطعتَ ، إثارة المناقشاتِ الدينيةَ والسياسية ، اللهم ما سهل الوصول به منها الى تقرير الحقيقة ، لبعده عن الأغلوطات وبواعث اللجاج والمراء .

على أن هذه الأباحة ، لا تخليك من رعاية واجباتٍ أهمها : أن تستوثقَ من أمر مناظرك . فإذا كان كفؤا للبحث معك ، باحثته ، وإلا جانبته لتتجنبَ المراء الذى لابدّ أن تقع فيه ، إذا كان من الجاهلين .

١١ — إذا جلستَ الى عالمٍ بالدين ، فليكن سؤالك منه تفقهاً لا تعنتاً ، ولا تنطلق فى ميدان المغالطة ، وعويصات المسائل ، التى لا تلبث أن تنقلبَ الى جدال ، كثيراً ما يعود السائل منه بالخزىِ والخذلان .

سأل رجل فقيهاً عن الحصاة يجدُها الأنسان فى ثوبه أو خفهِ من حصى المسجد ، فقال له : ارم بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتي تردّ الى المسجد . فقال : دعها حتى ينشقّ حلقها . قال الرجل : سبحانَ الله ! ألها حلقٌ ! قال الفقيه : ومن أين تصيحُ إذن؟ فانصرف الرجل مفحماً بهذا الجواب ، بعد الذى أظهره من المراء والجدال .

وروى أن شاباً فرنسياً ، كان يجادل قِسا في وجود الله فافتتح كلامه بأن عرّف القسّ بأنه لايعتقد بالربوبية ، وقال بأقوال الزنادقة وافتخرَ بأنه زنديق . فأخذ القسّ يحدّق فيه النظر صامتاً ، فسأله الشابّ : ماتريد أن ترى مني بهذا النظر الغريب ؟ أجاب القسّ : أريد أن أرى الحيوانَ الذى تسميه الزنديقَ فأنى لم أرَهُ فى حياتى !

آداب المدح والتقريظ

١ — خليقٌ باللبيب أن تستوىَ عنده المذَمةوالمدْحة ، لأنّ الأولى قبيحة لذاتها ، ولأن الثانيةَ ، بما فيها من

مبالغةٍ ، أو كذب ، أو مداهنة ، تفسد على الممدوح نفسهُ ، إذ تظهرُها له فى غير مظهرها الصحيح .

فاذا مدحك مادحٌ ، وأحدثَ مدحهُ فى نفسك استشعاراً بكمالك ، فانظرْ فيما وصفك به ، فهو : إما أن تستحقّ المدحَ عليه كالعلم ، أو لاتستحقه كالثروة . وليس فى الحالين مايوجب فرحك . لأنك لم تبلغ غاية العلم ، كما لم تأخذ على الزمن ميثاقاً بحفظ مالك .

٢ - يضرّ المدحُ بالمادح والممدوحِ معاً . لأنّ المادحَ إذا أفرط فيه - وهو الغالب - انتهى به الى الكذِب ، بقوله ماليس بقادرٍ على تحققه فى ذات الممدوح ، ولأن الممدوحَ يحمله المدحُ على الرضى عن نفسه ، بما سمعَ من الثناء عليها ، فلا يلبثُ أن يأخذَه الاعجابُ بذاته ، فيلهيه عن تحصيلِ درجة الكمال ، من طريق العمل الذى كان موضوعَ مدحه .

لذا يخلقُ بمن سمعَ مدحاً فيه ، أن يزجرَ المادحَ عنه ، رفقاً به وبنفسه . ولقد أثنى رجل على عمر بن الخطاب (١) ،

(١) ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل ثانى الخلفاء الراشدين ولى الخلافة (سنة ١٣ هـ - ٦٣٤ م) ومات (سنة ٢٣ هـ - ٦٤٣ م) ولقب بالفاروق

فقال له عمرُ : أتهلكنى وتهلكُ نفسك ! وسأل رضىَ الله عنه رجلا مرّةً عن شىء ، فأجابه : « أنت يا أمير المؤمنين خيرٌ منى وأعلم » ، فغضب الخليفةُ وقال : « إنى لم آمرْكَ أن تزكينى »

٣ — إذا اقتضى المقامُ توجيهَ عباراتِ المدح ، فلا بأسَ من اعطائها ، لكنْ بقدرِ مايعطى الطعامُ من الملح . لأن المسرفَ فى المدح ، كالسفيه فى ماله ، يسجل على نفسه نقيصةَ البعد عن التثبت والتروّى ، والجهلَ بحقيقة من يمدحه ، إذا كان يستحقّ الأطراء أو لايستحقه ، دَعْ أنه مستهدِفٌ نفسه ، إما لتهمة الملقِ والمداهنة ، وإما لانتقاد الممدوح إياه .

على أنه لايجوز للممدوح فى هذه الحالة ، أن يجبهَ مادحهُ بالغضب منه ، لمدحه إياه ، أو أن يقولَ مايشير الى اعتقاده بأن المقصودَ من هذا المدح الاستهزاء ، وإنما

لانه أعان الاسلام والناس حينئذ يخفونه تفرق بين الحق والباطل وكان المسلمون يومئذ ٣٩ منهم امرأتان فكملهم أربعين . وقد سارت بعدله الركبان وفى عهده فتحت امصار كثيرة منها مصر وفارس والشام وبرقة وطرابلس وغزا الروم وبلغ من بلادهم الى عمورية . وهو أول من دون الدواوين وختم الكتاب وأرخ بعام الهجرة ودعى بأمير المؤمنين . وكان موته قتلا من يد أبى لؤلؤة فيروز الفارسى

يتلطف فى منعه عن الاسترسال فى مدحه .

أتى رهطٌ من بنى عامر رسولَ الله عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : أنت والدُنا . . أنت سيدُنا . . أنت أفضلنا علينا فضلا . . أنت أطولنا علينا طوْلا . . أنت الجفنةُ الغراء . . أنت . . أنت . فقال رسول الله : قولوا قولكم لايستهوينكم الشيطانُ ! أي اذكروا ماجئتم لأجله ، فإن اللسان اذا أطلق بالثناء ، ولو بالصدق ، يخشى أن يستهويه الشيطان ، الى الزيادة المستغنى عنها .

٤ — ليس لامرىء ، أن يمدحَ نفسه لغيره ، لأنه لايملك حقّ تزكيتها بتمجيد أعمالها ، والثناء عليها . قال تعالى : « ألم ترَ الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكى من يشاء » . وقال سليمانُ عليه السلام : « دعْ مدحَ نفسك لغيرك لالفمك ، واتركه للأجنبي لالشفتيك »

كذلك لايجوز أن يذمها للغير ، قاصداً المدحَ من وراء هذا الذمّ لأن ذمّ الرجلِ نفسهُ فى العلانيةِ ، مدحٌ لها فى السريرة .

ولا يجوز أيضاً ، ان يحملَ غيره على مدحه ، وإلا

فقد أتى عملاً لاوصفَ له ، الا أنهُ أحطّ من مدح النفس بالنفس ، ومن ذمها بقصد الاطراء والمدح .

٥ ــ لابأسَ بالمدح ، اذا كان اعترافاً بحقيقةٍ ، أو اذاعةً لفضيلةٍ ، وانما يشترطُ فيه الصوابُ فى تقديره ، ووضعهُ في موضعه ، مع رعايةِ الاختصار والتحفظ فى إيراده ، حتى لايصدِمَ الممدوحَ فى تواضعه ، ولا يخالفَ الحقيقةَ فى صورتها الصحيحة ، وإلا كان ملقاً أو ذماً فى قالب المدح .

ولا تفهْ بالمدح فى مواجهة الممدوح ، لكيلا تحرج مركزَه ، لأنه ماسمع امرؤ ثناء ولا مدحةً ، الا تصاغرَت اليه نفسه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مشى رجلٌ الى رجلٍ بسكين مرهفٍ ، كان خيراً له من أن يثنيَ عليه فى وجهه »

٦ ــ اذا مدحتَ شخصاً لمحدثك ، فلا تدَع فى كلامك مايحمله السامعُ على محمل الذمّ فى قالبِ المدح ، وإلا كان ثناؤك عليه والغيبة سواء .

آداب المشورة والتنبيه الى الغلط

١ ـ لايجوز لأحدٍ ، لابمركزه الاجتماعى ، ولابماله من المكانة عند الاصدقاء ، أن يتحكم فى الزامهم قبولَ رأيه أو التسليم بما نبهَ اليه من غلطٍ ، مالم يكن صاحبَ مظهرٍ رسمىّ ، أو رياسةٍ تبيح له ذلك ، على اعتبار أنه المسئول عن تصرفات مرءوسيه .

وليس للنظير مثلُ هذا الحقّ على نظيره ، إلا اذا ارتفعت من بينهما الكلفة ، أو كان اعطاء الرأى أو التنبيهُ الى الغلط من أحدهما بدعوةٍ من الآخر .

على أن ارتفاع الكلفة ، لايبيحُ لصاحب الرأى ، أو للمنبه الى الغلط ، أن يتوجهَ بهما من تلقاء نفسه ، إلا فى الأحوال الخطيرة ، وإلا كان من الرقباء الذين يحصون على الناس هفواتهم .

٢ ـ يحسن بمن يقبل على عملٍ ، أو يشرفُ على مشروع ، أن يمعن فيه النظرَ ، ويطيلَ التأمل ، ثم يستشير فيه من يعلم منهم العلمَ وتجربةَ الأمورِ وحسنَ التثبت ، ليقوّم

بمشورتهم أعوجاجَ رأيه .

قال أحدُ حكماء العرب : « دعوا الرأى يغبّ(١) حتى يختمرَ وإياكم والرأىَ الفطيرَ . وقال آخرُ : « نصفُ عقلك مع أخيك فاستشره »

٣ — يحسب بعضُ المستبدّين ، أن فى المشورة ضعفاً فيهم ، وظهوراً لفقرهم الى غيرهم ، وأنه ليحسنُ فى نظرهم تركها ، وإن ضاقت بهم المذاهب ، واختلفت عليهم المسالك ، وطوّح بهم الاستبهام فى الخطأ الفادح .

وهو وَهْمٌ منشؤه الاستبداد وحب الذات . ولو كان أصحابه على شىء من الصواب ، لما وضعوا أنفسهم ، تطفلا ، فى مكانةٍ فوق التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أمره الله عزّ وجل بمشاورة من دونه فى الرأى ، فى قوله : « وشاورهم فى الأمر » وقد قيل : « ماندم من استشار ولا شقى من استخار »

٤ — دلت المشاهدَة ، على أن المتأنى يدركُ لامحالة بعضَ حاجته ، اذا لم يكن فى وسعه أن يدركها جميعا .

(١) يغب من غب يقال للطعام اذا بات والغرض هنا الامعان فى الرأى وتقليبه على وجوهه حتى يختمر ويتهيأ للنضج

فاذا عنّ لك أن تبدىَ رأياً ، فلا تتعجل فى ابدائه ، خيفةَ أن تدخلَ بذلك فيما لايعنيك ، بل تحين الفرصةَ الملائمة ، اذ كثيرٌ من المشورات النافعة ، ذهبت كما تذهبُ الكتابةُ على الرمل ، وفقدتْ كثيرا من أثرها الصالح ، لأن الزمانَ لم يكن ملائما لأبدائها .

آداب المراسلة

١ — اذا هممت بالكتابة ، فأنتَ مطالبٌ بأمرين . استحضار المعنى فى ذهنك ، واختيار مايؤديه من اللفظ ، بشرط أن يكون كلاهما زينةَ الآخر وعمادَه ، ولاشك أنك برعاية هذا الشرط ، ترتفع عن طبقة الحشو ، وتبتعد عن مذاهب العامة فى التعبير عن المراد .

وجانبْ مااستطعت عيوبَ الانشاء ، فلا تستعملْ الألفاظ الغريبة ، والحروف الشاذةَ والتراكيبَ الداعيةَ الى الاشتباه والالتباس . ولاتنحُ نحو المتفاصحين والمتكلفين ، بل افرغ على عبارتك ، حلةً سابغةً من الصراحة والرشاقة ،

تكنْ من الكرام الكاتبين .

ثم اعلم أنك ، كاتباً ، أملكُ للوقت منك متكلما . لأن المتكلمَ تضطرّه حاجةُ الارتجالِ ، الى التجاوُزِ عن اللفظِ الجزْل ، والعبارةِ الرشيقة ، بخلافِ الكاتب فإن له من سعةِ الوقتِ ، مايستطيعُ به استدراكَ الخطأ ، والرجوعَ الى الصوابِ .

لهذاوذاك كان خليقاً بك ، كلما هممت بتحرير كتابٍ ، أنَ تنقحهُ ثم تبيضهُ ، وأن تعنى بذلك ، لاسيما إذا كتبت الى كبيرٍ ، له عليك حق الاجلالِ والتبجيلِ .

٢ — على أنك لاتعدملمابرسوم الرسائلِ والمكاتباتِ ، إلا إذا سبكتَ رسالتكَ ، بمعانيها الحسنةِ ، وألفاظها الجميلة ، فى قالبِ القواعدِ النحوية ، لافرقَ بين أن تكون مسهبةً ، أو قصيرةً لاتتجاوزُ بضعةَ سطور .

فأذا فرطتْ منك غلطةٌ أو غلطاتٌ نحوية ، فأياكَ أن تحشرَ تصحيحها بين سطورِ الرسالةِ ، لأنكَ بفعلك هـذا ، ترشدُ مراسلكَ الى مواطنِ الضعفِ منك ، وتكشفُ له ، إما عن جهلك بقواعـدِ النحو ، وإما عن

إهمالكَ الأخذَ بها فيما تكتبُ ، وهـذا وذاكَ يجرّان الانتقادَ اليك .

وخيرُ الوسائلِ لاتقاء هـذا المحظورِ ، أن تتخذَ مسودةً لما تكتبه ، ثم تبيضها بعدَ التنقيحِ . وبدهيّ انّ الكاتبَ المدرّبَ على أساليبِ الكتابةِ ، الذى لايكبو قلمهُ فى غلطاتِ النحوِ ، ولا تفلتُ شواردُ موضوعهِ من ذهنهِ . فى غنى عن هذا الاحتياط .

٣ — ليسَ كلّ مايقعُ اليك من الورَقِ ، بمناسبٍ لبسط مايعنّ لكَ من الآراء ، أو عرضِ مايراد من الأقوال فيه ، فالورقُ اللازمُ لتسطيرِ رسائلِ الودادِ ، بين الأهلِ والخلان ، هو المتوسطُ القطعِ ، وتركُ الهامشِ فيه ليسَ بشرطٍ . والورقُ المناسبُ لتحرير عروضِ الاحوالِ والطلبات ، والرسائلِ الموجهة الى الأمراء والوزراء ، هو الورقُ الكبيرُ القطعِ ، وتركُ هامشٍ فيه ، شرطٌ محتومٌ .

أما الورقُ الصغيرُ القطعِ ، فلا تجوزُ المراسلةُ فيه ، إلا لمن ارتفعت من بينهمِ الكلفة من الأقرباء أو الخلان .

والواجبُ فى هـذه الأحوالِ ، أن يكونَ الورقُ

جيداً . وليست جودةُ الورق بكثافة سُمكهِ ، أو بحافته المذهبةِ ، أو بزواياه المحلاةِ بصور الازهار والاطيار ، وإنما بأن يكونَ من الورق الابيض الصقيل المتوسطِ السمكِ ، الخالى من أثر النقش والتصوير ، مالم يكنْ من تقاليد أسرةِ الكاتبِ ، ومقتضيات مركزها فى المجتمع ، مايجيزُ الرمزَ اليها بشارةٍ من الشارات ، وفى مثل هذه الحالة ، تطبعُ الشارةُ بالحبرِ الاسودِ ، أو بالحروفِ البارزةَ على الورَق .

والرسالةُ الواحدةُ ، تكتبُ على ورَقةٍ مزدوجة ، أى ذات أربعِ صفحاتٍ ، ولو لم يكتبْ فيها سوى سطرٍ واحد أو سطرين .

على أنهُ يجوزُ ، إذا كان موضوعُ الرسالة فى مرفق من مرافقِ التجارةِ ، أو عملٍ من الاعمال ، الاكتفاء بورقةٍ مفردةٍ تكتبُ من وجهٍ واحدٍ .

٤ - لايجوزُ للكاتب أن يطبعَ اسمهُ فى رأس ورق الرسائل ، إلا إذا كان من اصحابِ الالقاب ، أو اربابِ الاعمال التى تقتضى تعدّد العناوين ، كالتجارِ والمقاولين

والمزاولين للحرَف الحرّة الخ .

ولا بأس أن يتضمنَ مايطبعُ فى رأس ورق الرسائل، رقمَ صندوق البريد أو التلفون ، إذا كان مشتركا فيهما أو فى أحدهما ، وكذا اسمَ المدينةِ والحىّ الذى يقيمُ فيه ، والثلاثةَ الارقام اليمنى من سنة التاريخ .

فليس للطالب فى المدرسة ، ولا للعاطل من حلية العمل ، أن يطبعا اسميهما على أوراق المراسلات ، لأنهما إذا فعلا ، ادعيا بما ليس فيهما ، وانتحلا ما ليس من صفاتهما .

وفى تحرير الرسائل ، تحسن كتابةُ الاعداد بحروف الكلام ، مالم يقصد بها الدلالةُ على تاريخ الايام والسنوات ، ومبالغِ المال ، فيكتب مثلا : « خمسةٌ وتسعون رجلاً » لا « ٩٥ رجلا » و « ٢٥ قرشاً » و « ٣٠ مايو ١٩٣١ » لا « خمسةٌ وعشرون قرشاً » و « الثلاثون من مايو الخ » .

٥ — إذا عنّ لك البحثُ فى موضوعاتٍ متعدّدة ، فافتتحْ رسالتك بما يكون منها أعظمَ أهميةً فى نظركَ ، ثم اتبعه بالباقى ، مراعياً فيه تقديمَ الاهمّ على المهمّ ، وابدأْ

كل موضوع من اول السطر .

ومزيةُ هـذا الاحتياط ، تجنبُ إضاعةِ الوقت فيما لايهمّ ، كيلا يفوتك علمُ مايهمّ ، وإلا جرَرْتَ الى نفسك بجهلك إياه ، خسارةً فى النفس أو فى المال .

٦ — إذا هممتَ بتدوين رسالةٍ ، فاستحضرْ موضوعها فى ذهنك ، ومثّله لناظرك كأنك تراه ، كما ترى الصورة مطبوعةً فى المرآة . ثم بادرْ بأفراغه فى قالب التحرير ، تنجُ من النسيان الذى يضطرك الى كتابة الحواشى .

واعلم أن الالتجاء الى كتابةِ الحواشى ، يلصق بك تهمةَ الاهمال ، أو الجهلَ بتنسيق الرسائل ، دعْ أنه يشوّهُ وجهَ الرسالة ، ولا يتفق مع الأدب الواجب فى المراسلات .

٧ — يبدأ الكتابُ ببسط الموضوعِ الباعثِ على تحريرهِ ، ثمّ يختمُ بأهـداء عباراتِ التحيةِ والتكريمِ والشوقِ والتعظيم .

فما ينافى الأساليبَ الوضعيةَ للرسائل ، ولا يتفق معَ مصلحةِ كاتبيها وقارئيها ، افتتاحها ببثّ تلك العباراتِ والاسترسالُ فيها بحيثُ تتناول القسمَ الأكبر من

سطورها ، إذ أقلّ ما فى هذا الأسلوبِ من العيبِ والضرر ، أن تكونَ الرسالةُ فى أمرٍ خطيرٍ ، فتحول مقدّمتها المسهبةُ دونَ الوقوفِ عليهِ ، بما تحدثهُ تلاوتها من المللِ والسآمة ، وربُما كان ذلك الأمرُ ماسا بمصلحة مهمةٍ ، فتكونُ فداحةُ الضررِ بنسبة هذه الأهميةِ .

٨ — يقتضى تحريرُ عنوان من تكاتبهُ ، سواءأ كان بصدر المكاتبةِ ، أم على الظرفِ المغلفِ لها ، عينَ العناية الواجبةِ في تحريرِ الرسالةِ ذاتها ، موضوعاً ووضعاً .

فاذا كانَ مراسلوكَ ، من أصحابِ المناصبِ وأربابِ الرتبِ ، فلا تغمطهم حقهم بأهمال الألقابِ اللائقة بمناصبهمْ ومراتبهمْ ، وأضفْ اليها لدى تحريرِ عناوينهم على الظروف ، بيانَ مكانِ إقامتهمْ بالدقة ، مع إيراد الأرقامِ المعينةِ للشارعِ ، كلّ ذلكَ بخطّ يمنعُ اللبسَ والاشكالَ .

ويحسنُ بوجهٍ عامّ ، ذكرُ وظيفةِ من تراسلهُ أو صناعتهِ ، تقيةَ الخطأ المحتملِ الوقوعِ ، فى الاحوالِ الداعيةِ الى اللبسِ . وإذا كانتْ هذه الصناعةُ وضيعةً ، يسوءهُ ذكرُها ضمنَ عنوانهِ ، فالطبع السليمُ ، وواجبُ الحرصِ

على كرامةِ الغيرِ ، يتطلبانِ منكَ اغفالها . لكنْ يتحتّمُ فى مقابلِ ذلكَ ، استيفاءُ البياناتِ الكفيلة بوصولِ الرسالةِ اليهِ.

ويكتبُ اسمُ المدينةِ فى الركن الايسر من أسفلِ الظرفِ ، ويلصقُ طابعُ البريد في الركن المقاطرِ لهُ ، أى الأيمن من أعلاهُ . وإذا كان المتراسلان مقيمين بمدينةٍ واحدة ، استغنى عن ذكرها بكلمة « بالمدينة » أو « بالبلدة »

وأغلبُ المتراسلين يكتبون على ظروف رسائلهم ، جملاً مثل : « بدوح ٨٦٤٢ » أو « بأمانةِ سيدي معروفٍ الكرخىّ » الخ ، وهى من اللغو الباطل ، والحشو الذى لافائدةَ منه ، إذ لا تأثير لها فى ضمانةِ وصول الرّسالة الى المرسل اليه ، كما أن وضعهم جملةَ : « مستعجل جداً جداً » لايحملُ مصلحةَ البريدِ على بذلِ فوق ماتبذلهُ من العناية ، لأ يصال الرسائل الواردة معها فى بريد واحدٍ ، مالم تصدّر الرسالة بالبريد المستعجل ، فعندئذ يغنيك عن كتابة تلك الجملة ، ايداعك اياها الصندوق الاخضر للبريد ، بعد الصاقك عليها من الطوابع ، ماتعدل قيمته ٢٠ مليما .

٩ — من آداب الثقة ، إذا كلفتَ أحداً إيصال رسالةٍ

الى من تكاتبهُ، أن تسلمها اليهِ مفتوحة، وإنما يجبُ عليهِ أن يبادرَ بأغلاقها أمامكَ.

وإذا كتبت لأحدٍ كتابَ وصيةٍ، فلا تختمهْ، بلْ سلمهُ مفتوحاً اليهِ، ليقف على مضمونه بعد انصرافهِ من عندكَ، ويعلمَ منه أنك كتبت هذه الوصيةَ لا عنْ تكلفٍ أو رياءٍ، بل عن صراحةٍ ورغبةٍ صحيحةٍ فى إيصال النفع اليه

ويجب، فى حالةِ تصدير الرسائل بالبريد، أن تلاحظ المواعيدَ المقرّرة لأبداعها صندوقَ البريد، كى تصلَ الى مراسلك فى وقتٍ لا تضيعُ به الفائدةُ المقصودةُ منها.

فرسائلُ التهنئة بعيدٍ، أو بمناسبةٍ من مناسباتِ الفرح والسرور، كالزواج أو الميلاد، ترسلُ قبل حلولها، بزمن يتسع لوصولها فى ليلةِ ميعادها أو يومه.

على أنه يجوزُ، لمن فاتته فرصةُ تصديرها فى الوقتِ المناسبِ، لسببٍ وجيهٍ، وعذرٍ لا مناص من الأخذِ به، تصديرُها فى خلال الأسبوع التالى لتاريخ ذلك العيدِ.

١٠ — تذكرةُ البريد رقعة مستطيلة من الورق المقوّى، يكتبُ على أحد وجهيها عنوانُ المرسل اليه، وعلى

الوجهِ الآخر موضوع الرسالة .

ولما كان القصدُ منها، سدّ حاجةِ الكاتب، إذا غاب عنه الورق . أو المداد، فلا يليق بالمهذّب توجيهها الى السيدات ولا الى الكبراءِ ، وإنما يقصر تبادلها على الذين ارتفعت من بينهم الكلفة، من الأشباهِ والنظراء .

وفى الوجه الخاصّ بتحرير موضوع الرسالة، يكتب تاريخ اليوم واسم المرسل اليه ، ثم الموضوع ، بشرط أن يفصلهُ عن هذا الاسم فضاء غير مكتوب فيه ، بقدر ما يشغله سطرٌ من سطورها .

وإياك والاسترسالَ فى بثّ عبارات الأشواق ، واهداء التسليمات المباركات، خيفةَ ألا يبقى فى التذكرة موضعٌ للتوقيع ، فضلا عن الموضوع .

ومن الطيش وسوء التدبير ، إيداع تذاكر البريد أسراراً ماسةً بأسرة الكاتب، أو متعلقة بمصالحه المالية، اومرافقه التجارية .

١١ — سرّ الرسائل من الاسرار الواجبُ صونها ، فإذا فضضتَ ختامَ كتاب ، بوهم أنه موجهٌ اليك ، ثم

علمت من تلاوة ديباجته أنه مرسل الى غيرك ، فبادرْ بطيه وارساله الى صاحبه ، مصحوباً بكلمة اعتذارٍ مشفوعة بنوع من أنواع التأكيد ، أنك لم تستقرىء منه ، إلا ماأفاد أنه لغيرك .

وإذا عثرتَ فى الطريق على كتابٍ مختوم ، فحذار أن تفتحه أو ان تحاولَ استكناهَ ماتضمنه من سرّ ، بل بادرْ بأرساله الى صاحبه ، إما بوساطة البريد ، أو بوسيلة اخرى تثق معها من وصولها اليه .

ولاتقرأْ رسالةً عهد الى أمانتك إيصالها الى المرسل اليه . وإذا دفعها الكاتبُ اليك غيرَ مختومة ، لثقته بك ، فبادر من فوْرك بختمها أمامه .

ولا تتعمدْ الوقوفَ خلسةً خلف كاتبٍ لتستطلع ، من فوق كتفه ، سرّ مايكتب ، وإلا عرّضت نفسك للمؤاخذة والانتقاص .

فرَطتْ من أحدهم مثلُ هذه الفرْطة ، فلما شعرَ الكاتب به ، كتب فيما كان يكتب لمراسله : « الى هنا أقفُ عن موافاتك ببقية هذه الرسالة ، ريثما ينصرف

فلانٌ من خلفى » . فأخجله بهذه الجملة ، وألزمهُ ملازمة الأسف والاعتذار .

١٢ — جاء فى المثل السائر : « لكل سؤال جواب » فمما يجبُ عليك ، متى وصل اليك كتابٌ من أحدٍ ، أن تبادرَ بالردّ عليه ، لما فى المبادرة من برهانٍ على حسن تربيتك وتقديرك الشىء قدره .

والاهمال فى الاجابة ، يسوق صاحبه الى السقوط فى رذيلة الكذب ، بما يضطرّ الى انتحاله من الاعذار التى من اقبحها : أن يضع أوزارَ اهماله على عاتق « الاشغال المتراكمة عليه » و «ضيق الوقت» وقد يكون من العاطلين ، فبانتحاله هذا العذر ، يضيف الى رذيلةِ الكذب ، رذيلةَ الادعاء باطلا أنه من العاملين .

١٣ - مما يحسن فى الترسيل :

تجنبُ كتابة خطابين لشخصين مختلفين ، فى ورقة واحدة .

اطراحُ المزح ، مالم يكن المراسل يريد ذلك . والمزح لايحسن ، على كل حال ، مع الكبراء والرؤساء .

التزام صيغةِ الغائب فى الكتابةِ الى العظماء والوزراء، فتقول: « لقد تقدم معالى الوزير بكذا »، لا: « لقد تقدمتم يامعالى الخ ».

اجتناب الورق المسطر، أو المقطوع من الدفاتر. او من الورق الكبير، فى كتابة الرسائل.

ايضاح الامضاءة، فلا تعطى لها الرسوم والاشكال التى تجعلها طلّسما لايفكّ.

ضع تاريخ الرسالة بأعلا الصحيفة، مالم تكن موجهة الى كبير، أو صاحب مقام خطير، فأنها توضع بأسفله الى يمين الامضاءة.

لا تعتمدْ على « إنشاء مرعى » و « إنشاء العطار » وماجرى مجراهما من المؤلفات، فى تنسيق عبارات رسائلك.

اجعل خطك فى كل ماتكتب جليا جميلا.

فهرست الكتاب

صحيفة

فهرست الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣	٣	يعرضهما	يعرضها
٢٦	٨	الدرعين	الذراعين
٢٧	٤	ووضعها	وضعها
٦٠	١٥	اسلاكها	اسلاكه
٦١	٦	تركت	ترك
٦٤	١٢	لتذره	لتذرها
٧٣	١٠	أحضاره	احضاره
٧٤	٦	يقطعون	يقطعوا
١٢٦	٤	ابراد	ايراد
١٢٧	١٤	كتير	كثير
١٤٧	١٤	ابضاح	ايضاح

لفت نظر

نرجو قراءة المادة ١٢ من باب آداب السفر والانتقال فى صفحة ١٠٠ على الوجه الآتى :

١٢ — من اقبح مظاهر الانانية وحب الأثرة ، اذا سبق أحد المسافرين غيره الى غشيان احدى حجرات المركبة ، ان يبعثر اشياءه على مقاعدها ، فيضع قمطر اوراقه فى مكان ، ومعطفه او قلنسوته فى آخر ، يريد بذلك ايهام من يأتون بعده ، أن هذه المواضع قد سبقه غيره الى شغلها ، حتى اذا انصرف مخدوعا بهذا الكذب ، الخ